رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2393) السنة التاسعة
الإثنين (13) شباط 2012

4

احزاب العهد الملكي وقضية النفط

ما سر انقلاب العراقيين على طاعة السلطان العثماني بين عشية وضحاها؟

اوائل بغدادية في كتابات عزيز الحجية

اعداد: فاخر الداغري

اثناء افتتاح مدرسة التفيض

في كتاب (محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر) للشيخ علاء الدين السكتواري تعريف لمفردة:

الاوائل هو (ان الاول ما يترتب عليه غيره او هو ما سبق غيره بنوع من الحالات او مختصا بسبق شيء على غيره)

وهذا يعني أن هناك التزامن بين طموح الانسان وارتقاء حضارته وللراحل البحاثة الفلكلوري البغدادي عزيز جاسم الحجية حسب تقييم الشيخ جلال الحنفي له المنشور على ص١٣٨ من كتابه (بغداديات) في جزئه السابع تحت عنوان (بعض الاوائل البغدادية) ترد العناوين التالية التي مضى عليها اكثر من قرن :

*مدرسة ابتدائية :

شيدت هذه المدرسة ايام الوالي العثماني (سري باشا) عام ١٨٨٩م في منطقة الفضل كتمييز لها على باقي المحلات لاهميتها المكانية على نفقة العلامة عبد الوهاب النائب وسميت (حميدية مكتبي) نسبة للسلطان عبد الحميد وكان اول مدير لها هو الشيخ عبد المحسن الطائي ، وحالياً هي مدرسة الفضل بطابقين ذات صفوف واسعة وصفهها مدرسة بنات وقد تخرج منها الراحل الاديب عزيز الحجية عام ١٩٣٥ وهذا يعني انها كانت مدرسة بنين .

*مدرسة الصنايع:

اسسها الوالي مدحت باشا ذو الذكر الطيب واكثر الولاة العثمانيين اصلاحاً وعمراناً نظراً لتفكره الفكري وثقافته الحديثة فهو صاحب مطبعة الزوراء التي طبعت فيها صحيفة الزوراء التي صار تاريخ اصدارها عام ١٨٦٩ عيدا للصحافة العراقية .

لقد خصص هذا الوالي المصلح هذه المدرسة الى قبول الصبيان اليتامى المسلمين الذين لا معيل لهم بهدف تعليمهم مهن حرة في النجارة والحدادة والنسيج وظلت هذه المدرسة تؤدي غرضها الوطني لابناء اليتامى الى عام ١٩١٧ حيث احتل الانكليز بغداد فألغيت .

*مكتب الترقي الجعفري :

قدّم الشيخ شكر الله والسيد علي السيد مهدي البغدادي طلباً الى الوالي العثماني وكالة المشير عبد الله باشا قائد الجيش السادس في بغداد وتمت الموافقة على فتح مدرسة باسم (مكتب الترقي الجعفري العثماني) في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ الموافق ١٢/كانون الاول ١٩٠٨ وتم تأجير الدار المجاورة لمسجد الحاج داود ابو التمن والتي كان يسكنها الطبيب (ارستو) المشهور في حينه .

وقام بالتدريس فيها كل من السادة : علي البزركان وحسن البرزنجي ونافع السويدي وحيدر بيك الحيدري وحسين فوزي افندي ورؤف افندي بن عبد الله العطار ومحمد افندي الشيخلي . وبعد الحرب العالمية الاولى تغير اسمها الى (المدرسة الجعفرية) وقد اكتسبت شهرة علمية ومعرفية واسعة وظل تقييمها على انها صرح علمي قياساً بالمستوى المنخفض للتعليم آنذاك حيث اسهمت في تطوير المعرفة في علوم الرياضيات وضبط الحسابات التجارية .

ويلاحظ انها حملت روح العصر في مبدأيتها التراثية إذ احتفظت بطبيعة الحاق اواخر الاسم بلقب افندي او بك وهي درجات تكريمية معنوياً اكثر منها مادياً إذ تضيف لصاحب الاسم شعوراً ذاتياً معززاً باشعاره بقيمته ودوره في بناء المجتمع الامر الذي يعزز عنده عنصر المواطنة والشعور بالتسامي النفسي ، وان مستواه العلمي او الادبي معترف به وهو معروف به بين الناس .

وظلت مفردة (بيك) طيلة العهد الملكي فيما بعد كامتداد تراثي يلحق بعنوان مدير الناحية او القائمقام في لغة الخطاب اليومي ويكتب في الطلبات الرسمية (العرائض) التي يرفعها المواطنون من باب التفخيم والمجاملة واستدرار عاطفة رئيس الوحدة الادارية فيكتب مثلا (السيد فلان الفلاني بك مدير ناحية الغماس المحترم) .

*مدرسة مأموري المالية:

تعتبر هذه المدرسة اول مدرسة منظمة للعلوم المالية ومسك الحسابات يقبل فيها الطلاب الذين تزيد اعمارهم على (١٩) سنة ومن شروطها خضوع المتقدم اليها الى اختبار بالعربية والحساب والجغرافية والتاريخ ويمنح الطالب فيها (روبية واحدة) يومياً بصورة اكرامية ، مدة الدراسة فيها والتي كانت ستة اشهر وكان الاستاذ داود السعدي مديراً لها.

*المدرسة الاهلية :

فُتحت هذه المدرسة في زمن الاحتلال البريطاني لبغداد مصنفة على اساس انها اول مدرسة اهلية اسلامية . اقيمت فيها حفلة افتتاح كبرى يوم الجمعة المصادف ٢١ تشرين الثاني عام ١٩١٩ خطب فيها مؤسسها السيد علي البزركان طالباً من المواطنين شد ازر المدرسة ومعاونتها بالمال والاعمال .

اختتمت حفلة الافتتاح بانتخاب هيئة ادارية مهمتها الاشراف على شؤون المدرسة وتدبير امورها الادارية والمالية وفاز بعضوية الهيئة السادة :

١.الشيخ عبد الوهاب النائب
٢.السيد حسن رضا
٣.السيد خالد الشابندر
٤.السيد جلال بابان
٥.السيد بهجت زينل
٦.السيد سليمان فيضي .

*كلية الحقوق :

تاسست هذه الكلية في عام اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ الذي اطلق عليه اسم (المشروطية) في زمن ناظم باشا المفتش العام للخطة العراقية ووكيل والي بغداد في حينه وكان اسمها اولا (مكتب الحقوق العثماني) واول مدير لها هو موسى كاظم الباجه جي . اما المدرسون فيها هم : عبد الله وهبي ويوسف العطا وحمدي افندي وحسن افندي ومحمد جودت افندي وابراهيم دسوقي افندي وعارف افندي وهي القاب عثمانية يتمتع اصحابها بميزة معنوية لا يتمتع بها الا افندية .

*اول طالبة في كلية الحقوق :

إنّ أول طالبة عراقية في كلية الحقوق هي الانسة صبيحة الشيخ احمد الداود سنة ١٩٣٦ وتخرجت منها كأول طالبة تحمل صفة " الخريجة الاولى " ، وبعدها ازداد العدد تدريجيا للطالبات اللواتي قبلن في هذه الكلية التي غير اسمها الى كلية الحقوق بعد الاحتلال البريطاني للعراق ولبغداد عام ١٩١٧ . وكانت دراسة الانسة صبيحة في هذه الكلية حدثاً ثقافياً واجتماعياً كبيرين كان الناس يتناقلونه بين مؤيد ومستكثر على المرأة ان تواصل دراستها الجامعية مستقبلها لا تعمل كمحامية .

*أول طالبة في كلية الصيدلة :

إنّ أول طالبتين قبلتا في كلية الصيدلة هما : جوزفين برجوني ورحيمة يوسف وقد تخرجتا عام ١٩٤٠ واعتبرت الانسة جوزفين برجوني أول صيدلانية تفتح صيدلية تمارس فيها العمل الحر بنفسها.

×أما أول مهندسة عراقية فهي الانسة جوزفين غزالة التي تخرجت عام ١٩٥٠ م .

*وأول سيدة تقود سيارة :

السيدة امينة علي صائب الرحال هي اول سيدة تحصل على اجازة قيادة المركبات سنة ١٩٣٦ حيث قادت سيارتها من نوع (B. B ٤.) الانكليزية المنشأ في شوارع بغداد في حينه بين مغتبط ومبارك وبين فاغراً فاه استغرابا واستكثارا (على حرمة تقود سيارة) .

مدحت باشا

صبيحة الشيخ داود

ذكرياتي عن الحاج المميز

أسرار مكتبة مكنزي تتكشف!

زين احمد

شارع الرشيد حيث تقع مكتبة مكنزي

كنت على اتصال وثيق بالحاج أمين المميز، أحد دبلوماسيينا المتمرسين والكاتب الذي أرخ لبغداد فشاع صيته في كل مكان، وكانت زياراتي الأسبوعية له تستغرق ساعات يملى علي خلالها ما لم ينشره في مقالاته وبحوثه أو عبر كتبه العديدة، حتى قال لي مرة أن مصطفى علي كان راوية الرصافي وأنت ستكون راوية المميز، وأذكر أنني كنت أعد بحثاً عن نعمان الاعظمي شيخ كتبيي ومجلدي بغداد فاستعنت بما لديه من معلومات عن كتبيي ذلك الزمان فروى لي أسرار مكتبة مكنزي التي تقع منتصف شارع الرشيد ومازالت قائمة باسمها الأجنبي رغم تعليمات أمانة بغداد باستبدال الأسماء الأجنبية بعربية أصيلة.

قال لي الحاج أمين المميز رحمه الله: بعد الاحتلال الإنكليزي لبغداد عام ١٩١٧ شغلت القشلة من قبل بعض دوائر الحكومة الوطنية، وكانت إحدى الغرف الواقعة على يسار مدخل القشلة يشغل من قبل مكتبة صغيرة تتعاطى بيع الكتب والمجلات والصحف الإنكليزية كتب على مدخلها كلمة بوك شوب (Book Shop) ولما توسعت المكتبة انتقلت إلى البناية العائدة إلى شركة بيت اللنج في شارع الرشيد وصارت تستورد كافة أنواع الكتب حتى المطبوعات غير الإنكليزية وكان يشغل جزء من هذه المكتبة بالاتفاق مع صاحبها، شخص يهودي يدعى المستر جستن، يتعاطى بيع الأحذية الأجنبية وخاصة الإنكليزية منها وهو بغدادي خال الدكتور البير الياس الذي ابعد عن العراق وأسقطت عنه الجنسية العراقية إبان حوادث التجسس الصهيوني في بغداد أوائل الخمسينات، أما خاله المستر جستن فقد غادر بغداد قبل ذلك بمدة طويلة والغي محله في مكتبة مكنزي، وكان المستر جستن هذا قصير القامة، اصفر الشعر، ابيض الوجه، ازرق العينين وهو اقرب إلى الجنس الإنكليزي منه إلى الجنس اليهودي الذي يمتاز بالأنف المحدب والشعر الأسود والعيون السوداء.

وكان محل جستن هذا ملتقى كثير من الشخصيات السياسية والوزراء السابقين ورجال المال والصحفيين والتجار والمتقاعدين وبعض المحامين من حدب وصوب يقصدون هذا المحل لتبادل الأخبار وتناقل الشائعات الرائجة في البلد حول الأوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها، وكان جستن ينقل الأخبار والشائعات يوماً بيوم لمرجعه وعندما كنت اقصد مكتبة مكنزي للبحث عن كتاب أو مجلة- والحديث مازال للأستاذ المرحوم المميز- أو لاقتناء حذاء من محل جستن أشاهد المحل مكتظاً بالشخصيات أعلاه وقد شاهدت مراراً حكمت سليمان السياسي العراقي المعروف يتردد على ذلك المحل.

كما تتردد عليه أيضا شخصيات معروفة اذكر منها الوزير السابق جميل الوادي والصحفي عادل عوني والمحامي عيسى طه وغيرهم ممن لا أتذكرهم الآن، وبعد مغادرة المستر مكنزي العراق أودعت المكتبة إلى مساعده العراقي السيد كريم الذي بقي يدير المكتبة حتى وفاته كما اذكر وصار يعرف بين أصدقائه وزبائن المكتبة (كريم مكنزي) ولنا جولة أخرى مع المميز وذكرياته.

ام كلثوم .... لماذا لم تغني في حفل زواج الملك فيصل الثاني ؟

جواد الرميثي

ذكرت الأميرة بديعة وريثة العروش في احد مذكراتها عن سيدة الغناء العربي أم كلثوم قولها : انه في العام ١٩٤٣ أراد أخوها الأمير عبد الإله ، أن يخفف عن ما عانوه من حركة رشيد عالي ، وما تبعها ، من نتائج سياسية قاسية ، وإن كان قد مضت فترة من الزمن ، إلا أنه أرسلهم إلى مصر ، ونزلوا في مقر السفارة العراقية بالقاهرة ، في حي الزمالك عند السفير تحسين العسكري ، وكانت مصر جميلة تنسي زائرها همومه وأشجانه ، وبعدها عادوا إلى بغداد ، وفي السنة التالية قرروا الاصطياف في الإسكندرية ، فأمر الملك فاروق بلدية المدينة الساحلية ، أن تعد لملك العراق ساحلا على الشاطئ« بلاجاً خاصا » ، وبقيا في الإسكندرية حتى أكتوبر عام ١٩٤٤ وكانت ضيفتهم الدائمة والعزيزة عليهم والتي تشرب القهوة معهم يومياً على الساحل هي السيدة أم كلثوم ، صديقة أختها الأميرة عبدية الشخصية ومطربتها المفضلة ، تستمتع إلى أغنياتها باستمرار ، وتتصل بها هاتفياً وتكلمها ، سواء من بغداد أم من الإسكندرية ويتبادلان الرسائل والصور والأحاديث .

كان من المقرر أن تغني أم كلثوم في حفلة زواج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٨ ، وقد وعدتهم فعلا ، غير أنه قتل قبل أن يُزف إلى عروسه ، ولم تسأل عنهم أم كلثوم بعد مقتله ، ولم تتابع أخبارهم بالرغم من أنهم قضوا فترة من حياتهم في مصر بعد الانقلاب . وتقول بديعة :ربما أتلمس لها الأعذار ، في أنها لم تعزني بمقتل صديقتها أختي الأميرة عبدية ، برغم أنها لا تستحق ذلك ، لكنني لا أجد لها عذرا ، في أنها غنت لبعد الناصر قصيدة الجواهري في مدحه بعد مقتل أهلي ، ولهذا انكمشت نفسي منها . وتستمر الأميرة في سرد هذه الذكرى في أسى قائلة : موقف أم كلثوم هذا ينكرني بموقف آخر ، مغاير تماما ، للسيدة الإنكليزية (مسز ريمبرز) مدرسة الملك فيصل الثاني ، ظلت بعد مقتل أهلي تتسقط أخبارنا ، وتسأل عنا أين حللنا ، حتى عثرت علينا يوما في الستينات ببيروت ، فجاءت لزيارتنا ، وبعد زواج ولدي الشريف محمد في الثمانينات ، وانتقاله إلى أكسفورد زارته يوماً ، وقدمت له أواني من فضة كهدية لزواجه ، أرادت (مسز زيمبرز) أن تؤلف كتاباً عن الملك فيصل الثاني ، فقد قضت معه فترة ، تراه فيها يومياً ، تعلمه وتربيه وتشرف على حركاته وسكناته ، وهي تعرف عنه الشئ الكثير . إن هذه السيدة الإنجليزية في ثمانينات عمرها الآن وأتوق لرؤيتها وأتشوق لسماع أحاديثها ، برغم أن صوتها ليس طروبا ، لكني سئمت الاستماع إلى أم كلثوم .!!

احزاب العهد الملكي وقضية النفط

طه خلف الجبوري

أولا : حزب الاستقلال :

ترجع فكرة تأسيس حزب الاستقلال إلى نادي المثنى (١٩٣٥-١٩٤٢) والذي تضمن منهاجه العمل على التخلص من السيطرة الاستعمارية البريطانية، وبعد سلسلة من الاتصالات بين بعض الشخصيات السياسية من أمثال فائق السامرائي ومحمد صديق شنشل ومحمد مهدي كبة نائب رئيس نادي المثنى السابق تم الاتفاق على تأسيس ((حزب وطني قومي)) يعمل على استعادة سيادة العراق الوطنية وتحقيق الوحدة العربية. حصل الحزب على إجازته الرسمية في ٢ نيسان ١٩٤٦. ومن ابرز الأعضاء المؤسسين(محمد مهدي كبه وداود السعدي وفاضل معله وخليل كنه وإسماعيل العانم ومحمد صديق شنشل وفائق السامرائي) إلا أن تدخل وزير الداخلية (سعد صالح) في تشكيلة الحزب أدت إلى استبعاد المحاميان (محمد صديق شنشل وفائق السامرائي) لئلا يثير ذلك حفيظة الوصي والإنكليز. لما عرف عنهم من مواقف وطنية في مقاومة السياسة البريطانية. ولكنهما التحقا بالحزب فيما بعد ليصبحا من ابرز العناصر القيادية فيه.

عقد الحزب أول مؤتمر له في(١٩ نيسان ١٩٤٦) وبعد المؤتمر التأسيسي لانتخاب المناصب الإدارية وقد تم توزيع المناصب الحزبية بين الأعضاء وعلى النحو التالي محمد مهدي كبه رئيساً للحزب، وإبراهيم الراوي نائباً للرئيس، وداود السعدي معتمداً عاماً، وخليل كنه(نائب أول للمعتمد العام)، وعبد الرزاق الظاهر(نائباً ثانياً للمعتمد العام)، وفائق السامرائي أميناً للسر. صدر العدد الأول من جريدة (لواء الاستقلال) في (٤ آب ١٩٤٦) والتي هي لسان حال حزب الاستقلال لنشر برامجه وآرائه، واستمرت في الصدور حتى تم إلغاؤها في (٢٩) أيلول ١٩٥٤ على أثر صدور مرسوم إلغاء الأحزاب والجمعيات رقم ١٩ لسنة١٩٥٤ في٢٢ أيلول ١٩٥٤. وعلى أثر ذلك اصدر الحزب جريدة (صدى لواء الاستقلال).

ضم الحزب في عضويته عدد من الشباب المثقف من أعضاء التنظيم القومي العربي وبعض أعضاء نادي المثنى الذي اغلق بعد فشل حركة مايس ١٩٤١ بالإضافة إلى العناصر القومية من طلاب الكليات والمدارس الثانوية. كما انضم إلى الحزب كثير من العمال والفلاحين من أبناء الطبقة الوسطى من أصحاب المهن والأعمال، وعمل الحزب جاهداً على عدم إشراك رؤساء القبائل والعشائر بسبب قناعة الحزب بعدم امتلاك تلك الشريحة للمؤهلات السياسية.

وهنا لابد من الإشارة إلى إن حزب الاستقلال هو الحزب المرخص الوحيد الذي احتوى على تنظيم عسكري سري كان المسؤول عنه المحامي داود السعدي عضو اللجنة العليا للحزب، ومن الذين انضموا إلى هذا التنظيم الملازم الأول رجب عبد المجيد وصالح مهدي عماش وجاسم كاظم العزاوي (كانا وقتها طالبين في الكلية العسكرية) فضلا عن إن هنالك عدداً من ضباط الجيش من الرتب الصغيرة ممن كانوا يتعاطفون مع الحزب لصلة أعضائه بحركة مايس (١٩٤١).

ومن هنا فإن ارتباط أعضاء حزب الاستقلال بحركة مايس واتخاذهم سياسة معادية للبريطانيين دفع البعض لاتهامهم بالنازية والفاشية. إلا إن إيمان الحزب بالتجربة الديمقراطية والسعي لتعميق ممارساتها، ورفضه مبدأ القوة في التعامل السياسي ونبذه للعنصرية وألوان التعصب الأخرى كما نص عليها منهاجه أو أدبياته أو ممارساته اللاحقة ينفي ما لهذه التهم من دليل قاطع.

لقد تعرض الحزب إلى انشقاقات داخلية شأنه بذلك شأن معظم الأحزاب حيث برز اتجاهان الاتجاه الأول كان يدعو إلى التقرب من السلطة وكانت لا تريد التصادم مع الحكومة بغية تهشية أمورها وبالتالي تقوي تشكيلات الحزب وقد مثل هذا الاتجاه كل من (خليل كنه ورزوق شماس) حيث وبالتالي الضغط على أعضائه دفع بعض منهم إلى الاستقالة من أمثال إبراهيم الراوي.

كان حزب الاستقلال من اكثر الأحزاب السياسية العلنية اهتماماً بالجانب الاقتصادي للعراق وكان يدعو دائماً إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية واستغلال الموارد الطبيعية وخاصة النفط والذي يعتبر هو الشريان الرئيسي للاقتصاد العراقي وهو العمود الفقري لميزانية الدولة.

وقد ضم الحزب في منهاجه مواد تتعلق بذلك حيث نصت المادة السادسة على ما يلي:

((يرى الحزب أن تقوم الدولة باستغلال موارد البلاد ومنابع الثروة الكبرى ولا تمنح هذه الامتيازات إلى الهيئات والشركات الأجنبية، إلا عندما تحقق منفعة للمستهلكين والدولة، وانتقاء المساس بسيادتها)).

وقد أكد رئيس الحزب السيد محمد مهدي كبه على التمسك بمنهاج الحزب فيما يخص قضية النفط إذ قال: إن الاستقلال الاقتصادي قد يكون أهم حتى من الاستقلال السياسي، أعتقد أنه لا فائدة من الاستقلال السياسي إن لم يكن البلد متمتعاً بالاستقلال الاقتصادي.

والاستقلال الاقتصادي الذي يعنيه رئيس الحزب هنا بالدرجة الأولى هو تحرير ثروة البلد النفطية من سيطرة الشركات الاحتكارية والتي حرمت البلد من أهم مصدر من مصادر ثروته الوطنية. لجأ أعضاء الحزب إلى الصحافة لفضح السياسة البريطانية تجاه العراق فانبرى محمد صديق شنشل يقول((إن غاية بريطانيا من فرض سيطرتها على العراق هو الاستحواذ على مصادره النفطية)) ودعا إلى قطع ضخ النفط إذا امتنعت الشركات الاحتكارية من الاستجابة لمطالب العراق، ودعا إلى إنشاء مصفى للنفط في العراق وإحلال رؤوس الأموال العربية محل الأجنبية في حقل الإنتاج النفطي وشدد على ضرورة اتباع الحزم في المفاوضات الجارية مع الشركات الاحتكارية. وأشار محمد صديق شنشل كذلك إلى إن الحكومة البريطانية تتعامل بسياسة ذات وجهين وأن الحل يكمن في طرد الشركات التي تكاد تكون دولة داخل دولة، وقد لعب موظفوها أدواراً سياسية خطيرة وما زالت شركات النفط تعمل على شراء الضمائر والميتة بإعطاء منافع خاصة لبعض المتنفذين.

طه الهاشمي

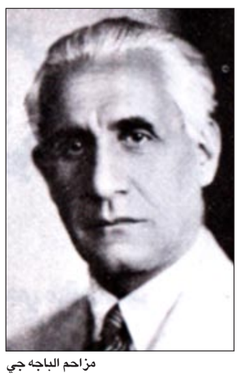

مزاحم الباجه جي

ثانيا: الحزب الوطني الديمقراطي:

بعد أن وافقت الحكومة على منح إجازات لبعض الأحزاب السياسية قدم كل من كامل الجادرجي ومحمد حديد وعبد الكريم الازري، ويوسف الحاج الياس، وحسين جميل، وعبد الوهاب مرجان، وعبود الشالجي، وصادق كمونة في يوم ٥ آذار١٩٤٦ طلباً إلى وزارة الداخلية بتأسيس حزب سياسي باسم((الحزب الوطني الديمقراطي)). وقد حصل على إجازته مع بقية الأحزاب السياسية في ٢ نيسان١٩٤٦ . وبعد حصول الحزب على إجازته جرت انتخابات اللجنة الإدارية المركزية في (٢٦ نيسان١٩٤٦) نتج عنها فوز (كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل وعبد الكريم الازري، وعبود الشالجي وصادق كمونة وزكي عبد الوهاب) بعضوية اللجنة تبعها جلسة لانتخاب رئيس للحزب وقد فاز كامل الجادرجي برئاسة الحزبّ وعبد الكريم الإزري (نائبا للرئيس) وحسين جميل (سكرتيراً).

أصدر الحزب ثلاث صحف للفترة بين (١٩٤٦-١٩٥٨) وهي (صوت الأهالي والأهالي ونداء الأهالي) لتعبر بمجموعها عن أفكار الحزب وتوجهاته وفلسفته في الداخل والخارج. ويمكن اعتبار هذا الحزب هو امتداد لجماعة الأهالي والتي لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية وإن قسماً من جماعة الأهالي قد انظموا إلى الحزب الجديد وعلى رأسهم حسين جميل. ضم الحزب في عضويته عناصر من المثقفين والذين كانوا يمثلون الاتجاه المعتدل. وكان معظمهم من الطبقة الوسطى الاجتماعية كسابقه. وقد قام الحزب على أساس الوطنية والديمقراطية واعتبر الديمقراطية مبدأ أساسي يعمل على تحقيقها باعتبارها وسيلة وهدف في آن واحد.

لم يسلم الحزب الوطني الديمقراطي كسابقه حزب الاستقلال من بعض الانشقاقات الداخلية في صفوف حزبه بسبب وجود التباعد الفكري فيما بين الأعضاء والقيادة على السواء كما يذكر حسين جميل سكرتير الحزب الوطني الديمقراطي ومنها عدم وضوح نظرية الحزب عند الأشخاص الذين قدموا طلبات الانتماء فمنهم من كان يعتقد بأنه امتداد لحزب جعفر أبو التمن، ومنهم من انتمى إلى الحزب لإعجابه بجريدة الأهالي لمواقفها الوطنية ومعالجتها للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى انتماء أشخاص ماركسيين أمثال جماعة داود الصائغ معتقدين أن باستطاعتهم تكوين (قوة ضغط) على قيادة الحزب لاتخاذ مواقف معينة. وكان أول انشقاق هو انسحاب أربعة من أعضاء الحزب وهم كل من (عبد الوهاب مرجان، وعبد الكريم الازري، وصادق كمونة، ومحمد عبود الشالجي) ويعزي هؤلاء سبب الاستقالة إلى تسامح الحزب في قبول الشيوعيين وعدم اتخاذ الإجراءات الوقائية السريعة لتصفية العناصر اليسارية المتطرفة من التنظيم وإعلان موقف صريح من (الماركسية).

أما الانشقاق الثاني فهو خروج جماعة كامل قزانجي لعدم انسجامهم مع الحزب خصوصاً بعد دخوله وزارة نوري السعيد عام١٩٤٦ وقد أدى خروج قزانجي هذا إلى تكتل أسموه ((الجناح التقدمي في الحزب الوطني الديمقراطي)) ضم بالإضافة إليه كل من: قدري عبد الرحمن، وليم يوسف، وعبد الحسين جواد الغالب، وهاشم محمد جواد.

وبهذا استطاعت جماعة الأهالي السابقة (كامل الجادرجي وحسين جميل ومحمد حديد) من تصفية العناصر اليمينية واليسارية المتطرفة والمختلفة معها فكرياً ولتبقى القيادة متسمة بتوفر الانسجام فيما بينها.وتحقيق غايتها بالقيام بإصلاح عام في كافة نواحي حياة العراق السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وذلك بقصد تحقيق تطور البلاد من وضعها المتأخر إلى دولة ديمقراطية عصرية ويتوصل الحزب لتحقيق أهدافه بالوسائل الديمقراطية.

وقد أولى منهاج الحزب الوطني الديمقراطي وصحفه مسألة النفط اهتماماً خاصاً، على أساس أن التحرر السياسي للبلاد لا يتم بدون التحرر الاقتصادي، ونظراً للنفط من أهمية عظمى، إذ أنه يكون أهم مورد يتوقف عليه نمو البلد وتطوره وازدهاره، فقد أكد في منهاجه ضرورة تحرير الثروة النفطية والقيام بمشاريع استثمارية. ويعتبر الحزب أن العلة الأساسية في تأخر الحياة الاقتصادية في العراق تكمن في قلة الإنتاج وسوء توزيع ثرواته وأن لا سبيل لمكافحة الفقر والجهل والمرض مكافحة سريعة إلا بمهاجمة هذه العلة وذلك بوضع تعميم منسق عام لإصلاح حالة البلاد من جميع وجوهها والعمل على تطبيق هذا التعميم وفق خطة منظمة خلال مدة معينة ويهدف هذا التعميم إلى إزالة الفقر بزيادة الإنتاج وتحرير ثروات البلاد وحسن توزيع الثمرات وتقليل الفوارق الاقتصادية.

ولم يكتف أعضاء الحزب بالدعوة إلى تحرير الثروة النفطية من الشركات الاحتكارية لغرض تحسين الأحوال الاقتصادية في العراق بل استخدام (النفط) كوسيلة ضغط على الدول الكبرى لتعديل موقفها تجاه قضايا الأمة ومن بينها قضية فلسطين.

ثالثاً: حزب الشعب

ابتدأ نشاطه السياسي وبشكل سري عام ١٩٤٢، وذلك عندما قدم جماعة من المحامين ومن حملة الأفكار الاشتراكية بطلب تأسيس حزب سياسي باسم (حزب الشعب) إلا إن الحكومة لم توافق على ذلك.

وفي عام ١٩٤٦ قدم المحامون كل من (عزيز شريف وتوفيق منير وعبد الأمير أبو تراب وعبد الرحيم شريف وإبراهيم الدركزلي ونعيم شهربان وجرجيس فتح الله) طلباً إلى وزارة الداخلية للحصول على ترخيص بتأليف حزب سياسي يحمل اسم حزب الشعب. وتمت إجازة الحزب في ٢/نيسان/١٩٤٦.

وبعد حصول الحزب على موافقة الوزارة، صدرت جريدة الوطن تحمل عبارة ((لسان حزب الشعب))، وأصبح عزيز شريف رئيسا لها. وقد اعتبر الكثير من الكتاب حزب الشعب بأنه كان واجهة الحركة الشيوعية السرية في العراق. ولعل ما يؤكد هذا الرأي هو تشجيع فهد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي لتأسيس حزب الشعب، ومطالبته عام ١٩٤٤ جميع المواطنين المخلصين أن يساعدوا الحركة الحزبية، وأن ينظموا إلى المحامين الذين قدموا طلبا بتأليف حزب الشعب.

ألا إننا إذا نظرنا إلى الواقع سوف نجد ثمة اختلافاً كبيراً بين حزب الشعب والحزب الشيوعي العراقي السري وبخاصة في مجال معالجة القضايا العربية والاتجاهات السياسية لأعضاء الحزبين. ويؤكد كامل الجادرجي ذلك بقوله ((إن حزب الشعب يضم شيوعيين واشتراكيين وأحرار فكر مناوئين للاستعمار)). وقد حدد حزب الشعب أهدافه في السياسة الداخلية بثلاثة أركان:

١- استقلال العراق التام واستكمال سيادته القومية.

٢- تحقيق الحريات الديمقراطية.

٣- إحداث تطور اقتصادي اجتماعي شامل من خلال تصفية الإقطاع وتحرير الفلاحين وتحسين أحوالهم وتحقيق الرخاء بالبلد إلى مصاف الدول المتقدمة.

خامساً: حزب الاتحاد الدستوري

اتفق نوري السعيد مع السيد صالح جبر على تأسيس حزب جديد سماه حزب الاتحاد الدستوري لدعم مواقفه السياسية بعد أن فشل في إقناع حزب الاستقلال للعمل سوية وفق ميثاق العمل الوطني، وكذلك من أجل دعم النظام السياسي في العراق بعد فترة من عدم الاستقرار الوزاري الذي ساد العراق في الأربعينات من القرن المنصرم.

حصل الحزب على إجازته في ٢٤/تشرين الثاني/١٩٤٩ وضم بالإضافة إلى نوري السعيد كل من (محمد علي محمود، موسى الشابندر، خليل كنه، عبد الوهاب مرجان، جميل الأورفه لي، سعد عمر، عبد الحميد عباس، أحمد العامر، أحمد مختار بابان، نايف الجربان، أركان العبادي). وقد اعتذر صالح جبر عن مواصلة العمل في الحزب بسبب اشتراك كل من (موسى الشابندر، محمد علي محمود) في عضوية الحزب لمساهمتهم الكبيرة ولمشاركتهم في حركة مايس ١٩٤١ وساهما في وزارة (رشيد عالي الكيلاني) ثم حوكما وسجنا.

ضم حزب الاتحاد الدستوري العناصر المحافظة التي تسيطر على الحياة السياسية في البلاد والتي تشكل الغالبية في البرلمان. وقد انظم للحزب منذ إنشائه العديد من الوزراء والوزراء السابقين وعدد كبير من النواب وشيوخ ورؤساء العشائر، ومن المعروفين بولائهم للسلطة الحاكمة.

والحزب يمثل مصالح البرجوازية الوطنية والإقطاع، وهو يميل للدول الغربية في سياسته ومعاد للدول الاشتراكية.

وقد جاء في منهاج الحزب أن غايته تحقيق إصلاح عام يستهدف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفق منهج علمي شامل يأخذ بالتجديد المتناسي مع مسايرة التطور، ومحاربة الطبقية والطائفية بأنواعها، والروح الإقليمية والانعزالية.

وأكد الحزب في المادة السابعة من منهاجه على تشجيع العراقيين ومساعدتهم في استغلال موارد البلاد ومنابع الثروة في العراق، والحرص على سيادة البلاد ومصالحها في كافة الامتيازات والمقاولات التي تدعو المصلحة العامة إلى منحها لغير العراقيين.

سادساً: حزب الجبهة الشعبية المتحدة

لعبت الصراعات الدولية والتكتلات العالمية والتي أعقبت الحرب العالمية الثانية والتي ظهر على أثرها الكتلتين المتصارعتين وهما المعسكر الغربي والمعسكر الشيوعي دور كبير في تبني العديد من دول العالم مبدأ جديداً بعيداً عن هذه التكتلات وهو (مبدأ الحياد) وكانت الحكومة العراقية واحدة من بين هذه الدول التي أصدرت بياناً بهذا الشأن. صدرت الصحف العراقية في ٢٣/آذار/١٩٥١، تحمل نداءً موقعاً من بعض رؤساء الوزارات السابقين، والوزراء المشهود لهم ببعد النظر فأيدت الحكومة هذا البيان والذي كان بمثابة المقدمة لظهور حزب الجبهة الشعبية، ووردت أول إشارة صريحة لتكوين هذه الجبهة في مقال لجريدة صدى الأهالي بتاريخ الأول من نيسان عام ١٩٥١ .

وبتاريخ ١٤ نيسان ١٩٥١ قدم كل من طه الهاشمي، ومزاحم الباجه جي، ومحمد رضا الشبيبي، ونصرة الفارسي، وصادق البصام، وكامل الجادرجي، وجعفر حمندي ، وعبد الهادي الظاهر، وبرهان الدين باشي اعيان ، وعارف قفطان ، وصالح شكارة، وعبد الرزاق الظاهر، وخدوري خدوري ، وحسن عبد الرحمن ، وجميل صادق، وجعفر البدر، وخطاب الخضيري، ومحمود الدرة، ونجيب الصائغ، وعبد الرزاق الشيخلي، وعبد الجبار الجومرد ، وعبد الرحمن الجليلي، وعبد الرزاق حمود طلباً إلى وزارة الداخلية من أجل تأسيس ((جبهة سياسية من أحزاب، وهيئات، وأفراد، باسم الجبهة الشعبية المتحدة)).

وقد حصلت الموافقة على تأسيس الحزب في ٢٦/أيار/ ١٩٥١، وعقدت الجبهة الشعبية أول مؤتمر لها في ٨/حزيران/ ١٩٥١ وانتخب طه الهاشمي رئيساً للمكتب الدائم، وصادق البصام أميناً للسر. وانتخبت اللجنة السياسية محمد رضا الشبيبي رئيساً وعبد الهادي الظاهر أميناً للسر. وأعلن طه الهاشمي أهداف الجبهة وهي تقوم على نقطتين رئيسيتين هما الحياد وتحرير الاقتصاد القومي من الاستغلال.

وجاء في ميثاق الجبهة الشعبية في مجال السياسة الاقتصادية ما نصه ((العمل على إنقاذ العراق من الاستغلال الأجنبي لاقتصادياته وضمان انتفاعه من ثرواته وموارده وإنقاذ أكثرية الشعب من حالة الفقر والبؤس وذلك باتباع سياسة الاقتصاد الموجه والقيام بالأعمال العمرانية وفق خطة منظمة ومنهج شامل لاستثمار أهم المرافق والإمكانيات الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية والعمل تحضير البدو وتحسين أحوال الفلاحين بمساعدتهم على زيادة دخلهم والأخذ بمبدأ الملكية الصغيرة والمبادرة إلى تحسين أحوال العمال وصيانة حقوقهم والأخذ بمبدأ الضمان الاجتماعي)).

ونشرت جريدة الجبهة الشعبية التي أصبحت لسان حال الحزب بيانات تطالب فيها بإلغاء المعاهدات والقواعد العسكرية التي هي في الحقيقة مراكز لحراسة امتيازات النفط، وتشكيل حكومة وطنية سيدها الشعب، وتوفير كادر فني من أبناء البلد لإدارة شؤون النفط.

وأكد الحزب في بياناته على أن نوري السعيد كان وما يزال يميل إلى التساهل في المفاوضات مع الشركات النفطية، وهذا إجحاف وتفريط بحقوق الشعب الأساسية. وأطلق الحزب نداءه إلى الشعب العراقي لفضح المؤامرة الاستعمارية التي تهدف إلى إشعال نار الحرب العالمية للسيطرة على منابع البترول وإنشاء المزيد من القواعد العسكرية الكبرى لتنطلق منها لمحاربة الشعوب.

سابعاً: حزب الأمة الاشتراكي

بعد أن امتنع صالح جبر عن المشاركة مع نوري السعيد في تأسيس ((حزب الاتحاد الدستوري)) كما ذكرنا سابقاً، قرر ((صالح جبر)) أن يؤسس حزباً مستقلاً باسم ((حزب الأمة الاشتراكي)).

حصل الحزب على إجازته في ٢٤/ حزيران/١٩٥١م وضمت الهيئة المؤسسة كلاً من: صالح جبر،عبد المهدي المنتفكي، عبد الكاظم الشمخاني، جواد جعفر، عبد الرزاق الازري، عز الدين النقيب، أحمد الجليلي، حبيب الطالباني، محمد النقيب، رضا خياط، ونظيف الشاوي.

عقد الحزب مؤتمره الأول في كانون الثاني ١٩٥١ وانتخب صالح جبر رئيساً وتوفيق وهبي نائباً للرئيس وعز الدين النقيب سكرتيراً أولا ورفيق السيد عيسى سكرتيراً ثانيا.

وكان معظم أعضاء الحزب من العناصر الإقطاعية وتمركزت قوة الحزب في منطقة الفرات الأوسط ولما كانت الهيئة المؤسسة تضم بعض الأكراد فقد عمل الحزب على توسيع عضويته في المناطق الكردية وانظم إلى صفوفه بعض الإقطاعيين الإكراد. لعب الوصي على العرش عبد الإله دوراً مهماً وبارزاً في تأسيس هذا الحزب عندما شجع السيد صالح جبر على تأسيسه، وبدأ الوصي بدعم هذا الحزب لأغراض سياسية معروفة منها لتقوية مركزه السياسي ومنافسته لبقية الأحزاب الأخرى، وتحقيق عملية الموازنة وخاصة مع حزب نوري السعيد ومكانته السياسية القوية.

وأكد الحزب في منهاجه الاقتصادي أن الهدف الأساس للحزب هو تأمين مستوى من المعيشة لجمهور الشعب، تتحقق به الكرامة الإنسانية، والسعادة الشخصية والوطنية، وفسح المجال لبروز المواهب الكامنة في كل فرد.

ولما كانت ضآلة الدخل القومي في الوقت الحاضر وسوء توزيعه، يقفان سداً حاجزاً في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي، يرى الحزب أن الشرطين الجوهريين لتحقيقه هما:

أولا: العمل على زيادة الدخل الوطني .

ثانيا: العمل على ضمان توزيعه توزيعاً عادلاً. ولا وسيلة لزيادة الدخل الوطني إلا بزيادة الإنتاج الصناعي والمعدني كمية وتحسينه نوعاً، وشعار الحزب في السياسة الاقتصادية والمالية هو اعتبار مهمة الحكومة الأساسية توجيه ماليتها وجهودها وسلطتها لزيادة الإنتاج الوطني باستغلال الإمكانيات الكامنة، التي لو كشفت واستغلت ووزعت ثمراتها توزيعاً عادلاً، لتؤمن لجميع العراقيين مستوى عادل من الرفاهية والمعيشة.

احمد مختار بابان

خليل كنه

نوري السعيد

صالح جبر

كمال مظهر وذكريات ايام بغداد

زين النقشبندي

كثيرة هي الذكريات التي مازالت عالقة في الذهن عن احاديث العلامة الدكتور كمال مظهر احمد استاذ التاريخ الحديث والمعاصر في قسم التاريخ – كلية الاداب – جامعة بغداد.
تعود بداية معرفتي بالدكتور كمال مظهر احمد الى منتصف السبعينيات القرن الماضي حيث كنت من المتابعين لما يكتب في جريدة التاخي اليومية عن نضال الكرد وثوراتهم في العراق وايران وتركيا ومن حسن حظي ولانني كنت منذ فترة شبابي المبكر قد عشقت وواظبت على قراءة الكتب

بل واصبحت من المدمنين عليها كما كان يطلق علي احد الاصدقاء ويكرر دائما (بابا موزين على عينك ارحمها هلكت تقرا ، روح العب واتونس احسلك من القراءة) نعم هكذا كان يقول لي هذا الصديق الذي الان اصبح احد العاملين بالتعليم وفي احد الايام من عام ١٩٧٥ عرض علي احد اصحاب المكتبات من الذين اتعامل معهم مجلة كنت اتصورها كتاب لكبر حجمها وتجليدها واتقان طبعها ولكنها في الحقيقة كانت العدد الاول من مجلة المجمع العلمي الكردي العراقي الصادرة عام ١٩٧٣ وكان من ضمن الذين كتبوا في هذا العدد الدكتور كمال مظهر بحث بعنوان (كردستان خلال الحرب العالمية الاولى) ومنذ ذلك الحين ولحد صدور العدد الاخير من مجلة المجمع الكردي الذي انتهى به الحال ان اصبح الهيئة الكردية في المجمع العلمي العراقي لم اترك اي عدد يصدر دون ان اقتنيه وفي بداية التسعينيات عندما كنت مشغول في البحث (تاريخ الابجدية الكردية) تعرفت عن قرب اولا على المرحوم الدكتور عبد الرحمن معروف وهو بدوره اخذني من كلية التربية الى كلية الاداب جامعة بغداد وعرفني على الدكتور مظهر مما اذكر عن هذا اللقاء ان المرحوم الدكتور معروف قال كاكة زين مع الاسف لايجيد التحدث بالكردية ولكنه لديه معلومات جيدة وكبيرة عن الكرد وتاريخهم وهو يكتب في بعض الصحف وكانت تلك نقطة التحول في العلاقة مع الدكتور كمال مظهر حيث كان الدكتور له في الاسبوع يوم او يومين يعطي فيها محاضرات لطلبته في قسم التاريخ وكنت انا حالي حال الكثير من طلبته ومحبيه من الذين لايتركون هذه الايام دون اللقاء به وتوطت العلاقات بيننا وكنت التقي به في مكتبه بكلية الاداب كل اسبوع تقريبا

وكان يقوم دائما بدعوتي الى مناقشات الاطاريح طلبة الدراسات العليا التي يكون غالبا هو رئيس لجنة المناقشة او المشرف ، اضافة الى المحاضرات التي كان يلقيها في المواسم الثقافية لبعض الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية ببغداد مثل جمعية المكتبات او النوادي مثل نادي الارمن الثقافي وتقريبا لم تفتني الا ما ندر اي رسالة دكتوراه او ماجستير نوقشت او محاضرة القاها الدكتور خلال هذه الفترة من بداية التسعينيات ولغاية سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ وخلال هذه الفترة اجريت معه اكثر من لقاء نشر في حينه في بعض الصحف اليومية او الاسبوعية ومما اذكره من هذه اللقاءات ان رايه في ثورة العشرين انه قال (لاجدال في الأهمية التاريخية الكبرى لثورة عام ١٩٢. التحررية فانها واحدة من أهم الأحداث التي هزت الوجود البريطاني في العراق ودشنت بداية مهمة لحركة واسعة تطورت باستمرار الى ان تمكنت في الاخير من وضع نهاية للهيمنة الاجنبية على مقدرات البلاد وكان ذلك يكفي لجلب انظار المؤرخين العراقيين والاجانب الى ثورة العشرين فقلما يوجد حدث في تاريخ العراق المعاصر حظي بالبحث والدرس مثلما حظيت بها احداثها التي كرس لها العديد من الكتاب العراقيين مؤلفات مستقلة ومرموقة كما تطرق الى وقائعها عدد كبير من المؤلفين والمستشرقين الاجانب (ثورة العشرين هي الوحيدة بين أحداث العراق المعاصر كرست لها أكثر من رسالة واحدة على الصعيد الجامعي في الخارج وفي داخل العراق، ورغم ان الدراسات والبحوث عن هذه الثورة قد توالت وبعدد من اللغات الا ان جوانب مهمة من صفحاتها المشرقة لاتزال بحاجة الى التقصي العلمي الدقيق والشامل. فقبل كل شيء ان مادون حتى الان من مذكرات ومشاهدات الذين اشتركوا في صنع احداث الثورة يؤلف نتاجا متواضعا لايتناسب مع حجمها في شيء فاته لا يتعدى عددا قليلا من الكتب أهمها فضلاً عن كتاب محمد مهدي البصير [تاريخ القضية العراقية] و الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢.) الذي نشره فريق مزهر آل فرعون ١٩٥٢ وما كتبه على البزركان وكتاب (معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢.) الذي نشره محمد كمال الدين سنة ١٩٧١ واقتصر ذلك النتاج على تسجيل انطباعات اناس ينتمون الى فئة اجتماعية واحدة ادت دورا مهما في الثورة وكان بوسع المعنيين أيضا جمع مادة خام مع اناس اخرين كانوا وقود الثورة وتحتفظ ذاكرتهم بحقائق مفيدة ومعززة بالادلة بوسعها تزويد المؤرخ بأدوات اضافية للغوص في أعماق الوقائع التي يعالجها فيمكن له بذلك تحديد دوافعها المحركة وعواملها الكامنة بصورة افضل .

وذكر الدكتور كمال مظهر لنا ان تجربة ذاتية اجزها عام ١٩٧٨ بمساعدة احد طلابه المتميزين في منطقة السماوة اثبتت امكانية تحقيق هذه المهمة وجدواها .

واضاف ومما يؤسف عليه حقا ان الوقت قد ادركنا أو كاد يدركنا فعلينا ان نستعجل الخطى لجمع ما تبقى من الكنز الثمين قبل ان يتحول الى اطلال أو يوارى الثرى نهائها.

ولا يخفي مالصحافة ثورة العشرين من أهمية فان مجرد أصدار جريدتي (الفرات) و(الاستقلال) باسم الثورة يشير الى تحول نوعي مهم في اسلوب نضال العراقيين.

ويشير د. كمال مظهر الى العلاقة بين الثقافة و الفكر فيذكر :– ونمو دور الفئة المثقفة في ذلك النضال وتدخل الجريدتان دون شك ضمن اروع ما تركته الثورة كما تؤلفان واحدة من اتصع صفحات الصحافة العراقية

وتأتيان في صدر قائمة المصادر الاصلية التي لا غنى عنها بالنسبة الى أي مؤرخ يتصدى لمعالجة أحداث الثورة ورغم ذلك لم يستخدم المؤرخون حتى اليوم هاتين الجريدتين لتحديد دور المثقفين في ثورة العشرين ولدراسة دوافع الثورة واحداثها الا في نطاق ضيق يقترب من العدم فعليا. لذا فان الغموض والتناقض والخطأ لاتزال تكتنف جوانب مهمة من تاريخ (صحافة ثورة العشرين) بما في ذلك حتى تواريخ صدورها ولا نغالي إذا قلنا ان كل عبارة وردت في صحافة ثورة العشرين بحاجة الى الدرس والتأمل الأمر الذي من شأنه ان يوصلنا الى استنتاجات مهمة بالنسبة الى تاريخنا المعاصر وينطبق ما ذكرناه بصدد صحافة ثورة العشرين على كل ما يتعلق بوثائقها الى حد كبير فان الوثائق المذكورة تعد أيضاً من أهم مخلفات الثورة ومن أهم مصادر دراستها (وهي بحاجة الى الجمع والتنسيق والدرس بصورة علمية وإذا استثنينا حالات نادرة فان المؤرخين لم يستفيدوا حتى الان من وثائق الثورة لدراسة احداثها كما ينبغي والانكى من ذلك ان يد الباحثين والعراقيين والاجانب لم تمتد حتى الان الى مئات الوثائق البريطانية الخاصة بثورة العشرين. فبوسع الباحث الفطن من خلال المعلومات الواردة بين ثنايا هذه وثنايا مثيلاتها في دار سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ففي القسم الخاص بـ (بلاد بين النهرين) البريطاني عام ١٩٢. يدرك عمق صدى هذه الثورة على الصعيد الخارجي وبوسع دراسة جادة للصحافة العربية والفرنسية والتركية والفارسية الصادرة سنة (١٩٢.) ان تعطينا تصوراً أشمل حول الموضوع ومايجدر ذكره بهذا الصدد ان المشرفين على أعمال مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في مدينة باكو في أيلول سنة ١٩٢. تغير موقفهم إذ بدأوا يولون الشعب العراقي ونضاله أهتماماً أكبر من بقية شعوب الشرق الاوسط بفضل انفجار ثورة العشرين فانعكس اسم (بلاد ما بين النهرين) وموضوع (نضال فلاحيها) ضد البريطانيين ونهب المستعمرين لثروات (ميسو بوتاميا) في كلمات الخطباء ومقررات المؤتمر على نطاق واسع.

وان الحقائق التي اسلفناها وغيرها تبين بصورة مقنعة في ما نعتقد ان جوانب مهمة من هذه الثورة لاتزال بحاجة ماسة الى ان تدرس بصورة علمية منها على سبيل المثال لا الحصر (دور الفلاحين في ثورة العشرين) ودور المرأة في ثورة العشرين و (مواقف المدن في ثورة العشرين) و (خطط الثورة العسكرية) و (وثائق ثورة العشرين) و (ببيلو غرافيا ثورة العشرين) و (ثورة العشرين في الوثائق البريطانية) و (ثورة العشرين في الوثائق الفرنسية) و (احداث ثورة العشرين في وثائق المركز الوطني الوثائق) و (ثورة العشرين في الصحافة العربية) و (ثورة العشرين في الصحافة البريطانية) وثورة العشرين في الصحافة التركية والفارسية) و (احداث ثورة العشرين في جرائد العراق بيشكة وتن– التقدم– ونجمة كركوك) و (الدعاية المضادة أيام ثورة العشرين) و (الانعكاسات الادبية لثورة العشرين) وغيرها.

وان مكانة ثورة العشرين بالنسبة لتاريخنا لا تختلف كثيراً عن مكانة ثورة عام ١٧٨٩ الكبرى بالنسبة لتاريخ فرنسا، فلنولها عشر معشار ما يولونها من اهتمام وهنا اقتصر على ذكر عدد قليل من الشواهد المعبرة ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٣٤ و١٨٣٨ أي في غضون اربع سنوات فقط نشر مؤرخان فرنسيان كتابا وثاقيا عن الثورة الفرنسية يقع في (٤.) مجلداً، وفي أواسط القرن الماضي نشر الاشتراكي الطوباوي الفرنسي واحد زعماء ثورة ١٨٤٨ لوي بلان (١٢) مجلداً تحت عنوان (تاريخ الثورة الفرنسية) وفي العام ١٨٨٦ ثم تأسيس كرسي الثورة الفرنسية بجامعة السوربون ثم تتابع ظهور الجمعيات والمؤسسات والمجلات الاكاديمية الخاصة بدراسة كل ما ينطلق بأدق تفاصيل الثورة وجزاياتها فان الجنة جمع ونشر وثائق الثورة الاقتصادية) التي أسست في مطلع القرن العشرين نشرت وحدها وخلال تسعة أعوام فقط من نشاطها (٥٧) مجلداً جديداً عن الثورة الفرنسية وبعد فترة أسست جامعة السوربون (معهد تاريخ الثورة الفرنسية).

وكان دائما يؤكد على ان العديد من رسائل طلبتنا لا تقل شأناً عن رسائل أفضل الجامعات فرغم ظروفهم الصعبة يقدمون نتاجا علمياً يضاهي بل وحتى يفوق أحياناً أفضل النتاجات العلمية المماثلة في الجامعات الغربية ، لمناسبة صدور دراسة أمريكية عن الحزب الوطني الديمقراطي . قال ان رسالة الدكتور عادل تقي البلداوي للماجستير عن (الحزب الوطني الديمقراطي في العهد الجمهوري الأول ١٩٥٨–١٩٦٣ أفضل بكثير منهجاً وتحليلاً واستنتاجاً ومصادر من رسالة الماجستير للباحثة الأميركية جنيب سنفلتوت المعنونة (الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي) التي طبعها مركز الجادرجي للبحوث في لندن إنني على سبيل المثال أشير فقط إلى النقطة الأخيرة أي ما يتعلق بمصادر الرسالة للباحثة الأميركية، انها لم تستخدم ولا وثيقة أميركية واحدة مع العلم ان الوثائق الأمريكية طافحة بالمعلومات الدقيقة والنادرة عن الحزب الوطني الديمقراطي والعديد من أقطابه ولاسيما كامل الجادرجي كما انها استخدمت وثيقتين أو ثلاث وثائق بريطانية فقط بصدد موضوعها مع العلم ان الوثائق البريطانية أولت موضوعها اهتماماً استثنائياً فان السفير البريطاني في بغداد كان يتابع نشاطات الجادرجي حتى أنه زاره مرة في داره وان العمود الفقري لدراسة الباحثة الأميركية من حيث المصادر هو مذكرات كامل الجادرجي وكتاب الدكتور فاضل حسين عن الحزب الوطني الديمقراطي وكتاب حنا بطاطو وان مجموع مصادرها الأساسية لا يبلغ أصابع اليد الواحدة تلك المصادر التي تؤلف بالنسبة لرسالة الدكتور البلداوي مجرد غيض من فيض، ولكن على ما يبدو ان مغنية الحي لا تطرب وحتى ان الكتاب ينطوي على آراء تبدو غريبة للقارئ العراقي المتتبع من ذلك على سبيل المثال:

١– في الصفحة (٢١) (الا أنه لم يكن زعيماً سياسياً يسحر الجماهير) في معرض حديثها في مقدمة الكتاب عن الجادرجي.

٢– في الصفحة (٨٣) (فان العوامل الداخلية وعلى وجه الخصوص شخصية الجادرجي أعاقت جهوده كذلك) في معرض حديثها عن الأسباب التي أعاقت الحزب الوطني الديمقراطي في فعاليته على الساحة السياسية.

٣– في الصفحة (٨٥) (كان افتقار الجادرجي إلى ملكة الخطابة صفة أخرى من صفاته التي حدت من فاعليته كزعيم سياسي وطني) وتذكر في الصفحة (كان الجادرجي بطبيعته سياسي صالونات ولم يكن زعيماً يسحر الجماهير) هذا الذي يتنافى مع الواقع ولا يمكن ان يقبل به أي وطني عراقي.

٤– في الصفحة (١٢.) (شعر الحزب الوطني الديمقراطي الذي لم يعرف عنه تركيزه على القضايا القومية) مع العلم ان الدكتور البلداوي كان قد افرد فصلاً كاملاً عن موقف الحزب الوطني من القضايا القومية وكذلك الجادرجي كتب في مذكراته القيمة صفحات كثيرة عن القضايا القومية والتي تحمل شخصياً الكثير بسبب هذه المواقف خصوصاً عندما سجن ثلاث سنوات بسبب موقفه المشرف من العدوان الثلاثي على مصر ووقوفه إلى جانب الشعب المصري ورئيسه جمال عبد الناصر.

٥– في خاتمة بحثها (الرسالة) وعن الأسباب التي أعاقت الحزب الوطني الديمقراطي وحدت من فعاليته، في الصفحة (٤٨) (عدم امتلاك الجادرجي الصفات التي تجعل منه بالطبيعة زعيماً سياسياً جماهيرياً يضاف إلى هذا ان عزله لنفسه داخل حزبه كان أمراً يضر به خارج الحزب أيضاً.

٦–وكما انه (لم يكن ديناميكيا كشخصية سياسية بحيث يترجم هذا الاحترام إلى قوة) في معرض حديث الباحثه الأمريكية عن الاحترام الواسع الذي كان يتمتع به.

وكان قد ذكر لي ايضا في منتصف التسعينيات أنه يشرف الآن على سلسلة من رسائل الماجستير والدكتوراه لجامعيين من الجنسين تكشف المزيد من أسرار تاريخ العراق الحديث والوطن العربي فالباحثه عفراء عطا عدت رسالة دكتوراه عن نلسن مانديلا وحياته وكما هو معروف بقي ٢٧ سنة في السجن، والآن هو شخصية عالمية ولديه مواقف ايجابية معروفة، والطالبة عفراء متمكنه جداً ومتابعة بحرص وقد استطاعت الحصول على معلومات مفيدة عن طريق الانترنيت والعديد من المسؤولين المقربين من شخص مانديلا ولدينا أمل ان تنتهي من مهمتها وتناقش الاطروحه في غضون أقل من سنة وفي الكلية نفسها أشرف على رسالة ماجستير مهمة للدبلوماسي الأديب المعروف عبد الحسين الرفيعي الذي يكتب عن دور النخبة القانونية في الحياة الفكرية والثقافية في العراق، من عام ١٩٠٨ (أي منذ عهد الاتحاديين في الدولة العثمانية) إلى ١٩٣٢ أي نهاية عهد الانتداب البريطاني. فقد أدت النخبة القانونية دوراً متميزاً للغاية في هذا المضمار وربما يكفي ان أشير إلى ان توفيق السويدي هو العراقي الوحيد الذي اشترك في المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس في حزيران ١٩١٣م وكان يوم ذاك يدرس القانون في السوربون لا يخفى ان المنتمين إلى النخبة القانونية في تلك المرحلة أدوار دوراً متميزاً في نشاطات المنظمات والجمعيات والأحزاب السرية والعلنية كما في الصحافة وفي المعارضة البرلمانية وغيرها لذا لا أشك بأن هذه الرسالة سوف تحدث صدى طيباً في الوسط الثقافي العراقي وهي متممة لأطروحة الدكتوراه التي كتبها عبد الرزاق النصيري عن دور المجددين في الحياة الفكرية والثقافية في العراق من بداية العهد العثماني الى مطلع القرن العشرين.

وأضاف حينها حالياً أشرف على رسالة ماجستير مهمة لطالب تونسي هو نوري الدين عن تأثير الفكر الناصري على أقطار الخليج العربي، في المرحلة الممتدة بين أعوام ١٩٥٢–١٩٧٠.، وهي رسالة ضخمة انتهينا من إعدادها وتقع في أكثر من ٣٢٥ صفحة وتنطوي بدورها على معلومات فريدة في غاية الأهمية استقى الطالب قسماً غير قليل منها من وثائق غير منشورة ستطرح لأول مرة، ومن أناس عملوا مع شخص جمال عبد الناصر، وأغلب الظن ان هذه الرسالة سوف تناقش في غضون الشهر القادم، متممة لأطروحة الدكتوراه التي كتبتها الدكتورة بثينه عبد الرحمن التكريتي قبل سنوات في كلية الآداب جامعة بغداد عن نشأة الفكر الناصري تلك الأطروحة التي وجدت صدى واسعاً في أوساط النخبة العربية فقد طبعها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في كتاب مستقل قومته الصحافة العربية تقويماً رفيعاً وقد نفدت الطبعة الأولى وأعيد طبعها مرتين أخرى في المستقبل القريب، وعلى الغرار نفسه أشرف حالياً على أطروحة دكتوراه ورسالتي ماجستير في معهد المؤرخين العرب.

أما الأطروحة فهي عن محمد عبده، لطالبة الدكتوراه ذكرى الجبوري وهي بدورها دراسة فكرية تحاول ان تتصدى لاحياء محمد عبده وإبداعاته على أساس تحليلي تنطوي على الجديد والمفيد في هذا المضمار الذي يكتب دون شك أهمية استثنائية في أيامنا هذه التي نشهد فيها تهجماً غير منصف من الغرب على العالم الإسلامي وقيمه اما رسالتا الماجستير فإحداهما للطالب عصام كاظم عن (دور النواب الكرد في عهد الملك فيصل الأول) أي من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٢ وهي تنطوي على أشياء جديدة غير معروفة إلى حد كبير ومن أفضل صفحات هذه الرسالة انها تبين الدور الايجابي الذي أداه النواب الكرد في تأسيس الدولة العراقية المعاصرة، والرسالة الأخرى هي لطالب الماجستير دارا جمال غفور التي تتحدث عن الدور الإداري والسياسي للشخصية المعروفة محمد أمين زكي في العراق منذ عودته من اسطنبول عام ١٩٢٤ حتى وفاته في عام ١٩٤٨م فلقد أدى محمد أمين زكي دوراً متميزاً في مجلس النواب والأعيان كما تولى مناصب إدارية عديدة في المعهد الملكي بما في ذلك الدفاع والمعارف والشؤون الاجتماعية، ولقد عثر الطالب على معلومات مفيدة ونادرة في الصحافة العراقية والعربية كذلك في الوثائق العراقية والبريطانية غير المنشورة.

وكان محمد أمين زكي من أشد المتحمسين للوحدة الوطنية العراقية على غرار التآخي الوطني السوسيسري الذي كان مضرب الأمثال في نظرة كما أكد ذلك الصحفيان العربي محمد علي الحوماني والعراقي المرحوم شاكر علي التكريتي، إضافة إلى كل ما سبق كان لا يدخر وسعاً في تقديم شتى أنواع المساعدات لطلاب الدراسات العليا الذين يتخصصون في التاريخ الحديث والمعاصر إلى جميع الجامعات العراقية.

فقد كان يصرف من وقته وصحته ، كما كان يقول لي واشاهده عن قرب ومن خلال التجربة، فقد كانت اشاهده دائما لم يدخر جهدا في السوال والبحث عن المصادر الاجنبية لطلبته ويترجم لهم هذه المصادر ، وكان ينهض منذ الفجر او قبله كل يوم ليقوم بقراءة وتصحيح وتقويم رسائل طلبته ، وحتى التصحيح اللغوي ، فقد كان شديد الاهتمام بان تخرج الرسالة التي يشرف عليها قريبة من الكمال، وهذا الاهتمام سبب له الكثير من المشاكل مع الكلية والجامعة وحتى مع بعض زملائه من الاساتذة ، ومن هذه الاطاريح على سبيل المثال اطروحة بثينة الناصري التي اعدت اطروحتها عن الفكر الناصري المشار اليها انفا ، فقد ترك الدكتور بسبب موقف عمادة الكلية من الطالبة الدوام في القسم وقدم استقالته او كاد ثم نقل الى كلية التربية تاركا كلية الاداب وقسم التاريخ فيها و اساتذته الذي كان له ما له من مكانة في نفسه ، وما ترتب عليها من تداعيات وانعكاسات على صحته وتلامذته في تلك الفترة.

وتكثر وتتشعب الذكريات عن الدكتور كمال مظهر والفترة التي قضاها في كلية الاداب – جامعة بغداد والتي كنا شاهدين ومعاصرين ومطلعين على بعضها وربما تسمح مناسبات اخرى ان نكمل باقي الذكريات ولكن الشئ الذي احب ان اختام به هذه الشهادة انه كان لي شديد الامتنان ومن حسن حظي ان كتب لي الاستاذ الدكتور مظهر مقدمة كتابي الخامس المعنون (خلف شوقي الداودي من اعلام اليقظة الفكرية العراقية) المطبوع عام ٢٠٠٥ ببغداد وهي شهادة اعتز بها من مؤرخ وعالم عراقي كبير يمتلك خزين كبير وله مكانته بين المؤرخين العراقيين.

بغداد في ثلاثينيات القرن الماضي

خان المحمودية على طريق بغداد. الحلة في الخمسينيات

اسد بابل عند العثور عليه وقبل نقله الى خارج العراق

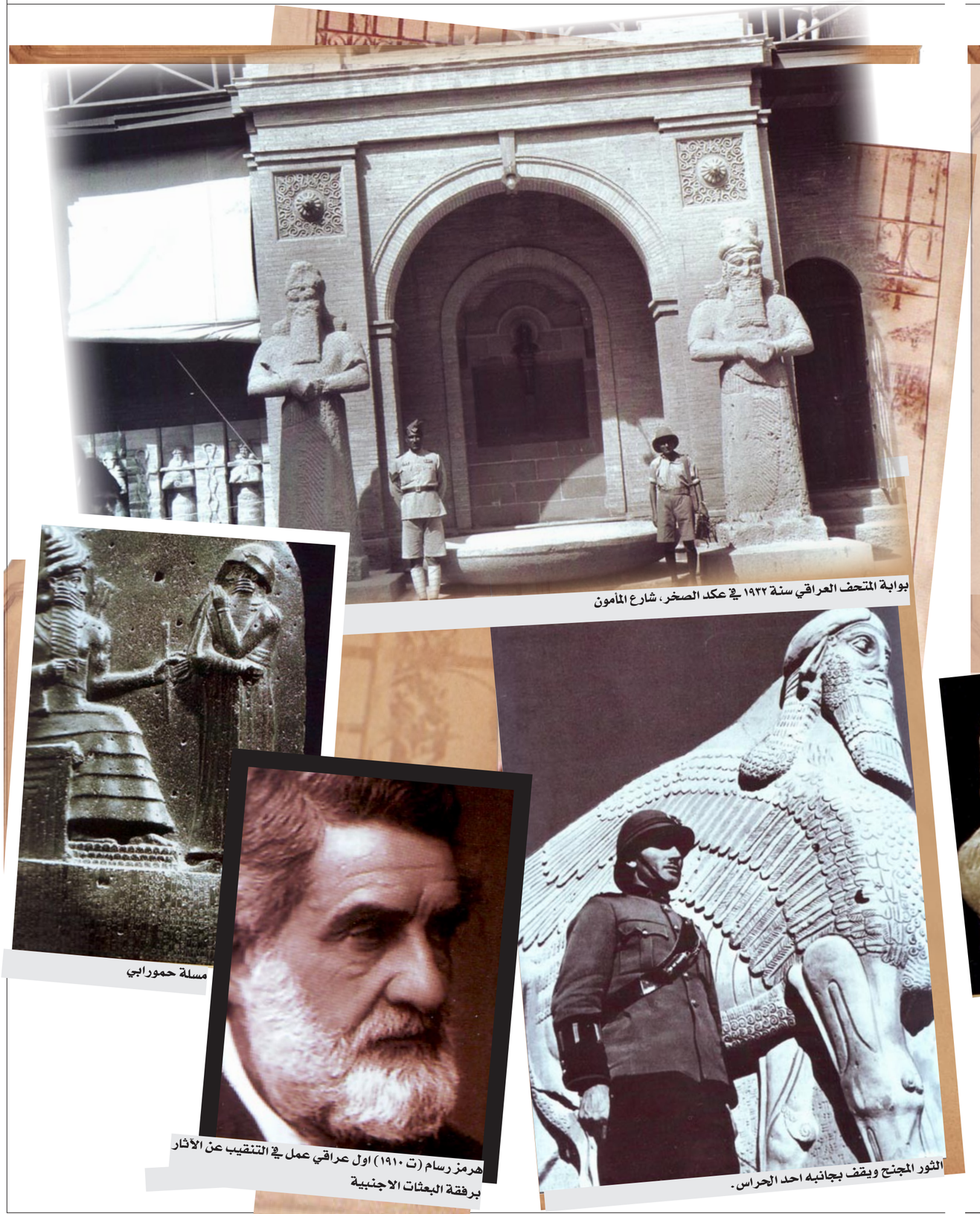

بوابة المتحف العراقي سنة ١٩٣٢ في عكد الصخر، شارع المأمون

مسلة حمورابي

هرمز رسام (ت ١٩١٠) اول عراقي عمل في التنقيب عن الآثار برفقة البعثات الاجنبية

الثور المجنح ويقف بجانبه احد الحراس.

حكايات من مقاهي بغداد:

شرب قهوتها عبد الكريم قاسم ومن جلاسها نوري السعيد

كانت من معالم مدينة بغداد التراثية والثقافية

مقهى البرازيلية.. تاريخ واسرار وذكريات

عبد الحاج حمود الكناني

الحديث عن هذه المقهى التي كانت واحدة من معالم وشوارع مدينة بغداد التراثية والثقافية، يأخذنا الى اربعينيات وخمسينيات القرن الماضي.

فقد عاصرت هذه المقهى العتيدة، الاحداث التي مرت بها البلاد في تلك الحقب الماضية من خلال وقوعها في شارع الرشيد، والذي شهد وكان جزءً من العديد من الجوانب التاريخية التي ترتبط بتاريخ العراق المعاصر.

حيث استخدمته الحركة الوطنية العراقية لتسيير التظاهرات الاحتجاجية والغاضبة والمستنكرة لبعض توجهات النظام الملكي السياسية.

وتسترت به بعض الجهات السياسية لتنفيذ مآربها الخاصة تجاه بعض مفاصل الدولة والحكومة، سواء في محاولات اغتيال او تصفيات او ترويج ايديولوجيات وتمرير اجندات خارجية مختلفة.

واستفادت منه قطاعات وواجهات اجتماعية مدنية ودينية لتحقيق بعض الغايات والتطلعات والنيات المتنوعة.

فمن خلال واجهتها البرازيلية الزجاجية المطلة على الشارع، كان الجالس يتمتع بحركة الناس في الشارع، اذ كان يمثل قلب بغداد النابض، حيث يمور بالحيوية، ويغرق في نشاط غير عادي على مدى اليوم.

ويستمد منه الباحث والاديب والشاعر ما يعزز ويحفز قريحته للبوح بجميل الكلام وروعة الصور الادبية، واستلهام تدفقات المخيلة، وانثيالات الذاكرة المنهمرة.

"ثمار ادبية"

فقد ارتبطت بهذا المقهى البغدادي الجميل ذكريات ومواقف للعديد من الادباء والشعراء والشخصيات البغدادية والاسماء المبدعة واللامعة...

ومن هؤلاء المبدعين الكبار شاعر الحداثة ورائد الشعر العربي الحديث الراحل بدر شاكر السياب، وعالم التاريخ الكبير الدكتور جواد علي صاحب اهم كتاب في التاريخ الموسوم (المفصل في التاريخ)، والذي من فرط حبه للمقهى وعشقه للمكان اختار السكن في نفس البناية التي تحتوي المقهى، في احد طوابقها..

والروائي العراقي الكبير المرحوم فؤاد التكرلي، الذي كان بالتأكيد من ثمار ملازمته للمقهى استلهامه افكار رواياته التي تناولت الحياة البغدادية وفي مقدمتها روايته الرائعة (المرجع البعيد) التي عدت من اجمل الروايات العربية واهمها، بتناولها البيئة البغدادية في مناطق (باب الشيخ والمربعة) وغيرها من مناطق بغداد القديمة، وقد ترجمت الى عدد من اللغات العالمية، واعطيت اسما يتواءم مع الترجمة وهو (اصوات الفجر)

ورواياته واعماله الادبية الاخرى.

وكذلك احد اعمدة القصة القصيرة في العراق القاص نزار عباس، والشاعر المتمرد على الواقع والشعر العراقي المثير حسين مردان، صاحب المجموعة الشعرية الجرئية (قصائد عارية) التي ادخلته السجن، حيث عدت واشعاره الاخرى خروجا على المألوف الشعري وتجاوزا على شعر تلك الايام، وقد اثارت وقتها ضجة كبيرة، وهيجب الجهات المحافظة لترفع قضية ضده في المحاكم العراقية اسوة بالشاعر صفاء الحيدري ومجموعته (اوكار الليل) التي تطرقت الى واقع الليالي المحرمة والحمراء في بعض امكنة بغداد.

والكاتب والروائي والناقد الفلسطيني العراقي "جبرا ابراهيم جبرا، الذي قدم للمكتبة العربية العديد من الروايات والمجاميع القصصية والكتب النقدية والفنية وحتى الشعرية وغيرها من الاعمال الادبية التي اصبحت من روائع الادب العربي مثل (روايات (صيادون في شارع ضيق والسفينة).

وجلس فيه رائد الحداثة في القصة العراقية الكاتب عبد الملك نوري، والشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي وانتج فيه مجموعاته المهمة في الشعر الحر والحديث ومنها (اباريق مهشمة، وملائكة وشياطين).

والشاعر كاظم جواد، الذي لم يأخذ نصيبه من النقد والشهرة مع أنه شاعر كبير!، من الاسماء المهمة في حقبتي الخمسينيات والستينيات والقاص والروائي الكبير غائب طعمة فرحان الذي انتجت مخيلته الخصبة رواية (النخلة والجيران) احدى اهم الروايات التي ارخت للحياة البغدادية والطبيب المشهور اكرم الوتري، والفنان الرائد فائق حسن من تيار المدرسة الواقعية في الفن التشكيلي العراقي، ومبدع الجدارية المذهلة التي تطل على ساحة الطيران في الجانب الشرقي لحديقة الامة، وغيرها من الاعمال البديعة والدكتور اكرم فاضل واكرم علي وعبد الجبار الجواد والكاتب والفيلسوف المثير للجدل مدني صالح.

الى جانب احتضانها الكثير من الاسماء المبدعة في الثقافة العراقية فقد كانت الوعاء المناسب لاتجاهات التحديث في الادب والفن العراقيين واجوائه كانت تشجع وتناغم رغبات واحلام الفنانين والادباء على الخلق والعطاء الثر يرتدون زيا موحدا، وهو مخالف للمألوف والمتعارف عليه في المقاهي البغدادية.

وكانت وظلت حتى انقراضها تحتوي على ماكنة القهوة التي تحصصها ثم تطحنها وتقدمها عطرة في الفناجين. وكذلك فاترينات العرض للجبنة البلغارية.

والماكنة التي تقدم انواع "الدوندرمة" من الموصوفة بـ "كلاسيه"، والدوندرمة بالشوكولاته، والدوندرمة بالفواكه، فضلا عن شراب الشاي والعصير والشاي حليب والنسكافيه.

وهي بحالها هذه لم تكن محض ملتقى يرتاده من يبحثون عن راحة وقتية، او يزجون بعض فضلة من الفراغ، بل كانت منتدى للادب والثقافة وملتقى للاراء، وموئلا للافكار.

ان وظيفتها كانت ابعد من ان تكون كنقطة استراحة، او محطة يستريح بها العابد والزائد برهة من الزمن، وهي لم تكن مكانا مجردا، بل واحة من واحات بغداد هي ومعاصراتها ومثيلاتها "المقهى السويسرية وبيكادلي، ومقهى كافيه بغداد"، واحات بغدادية المتكأ والمذاق، للارتياح والاستماع، بل للاستجمام بين الهدوء والتأمل، وهي مواقع تليق بالعزبة المؤقتة التي يرتظيها السائح والزائر لاسباب خاصة.

"التراث والمعاصرة"

ان المقهى الواحة صفة تجسدت في مقهى البرازيلية، حيث هي بمواصفات يترك قاصدوها تعبهم عند بابها، ويجد الباحثون عن الهدوء في جنانها استمتاعا واستئناسا بجو لاتقلقه اصوات تحرك قطع النرد "الدومينو" والزهر "الطاولي".

ان الدلالة العصرية للمقهى تمتزج مع الوظيفة التراثية والاجتماعية، فقد كان المقهى الحلم الذي ننتظره تحقيقا لخيال المتمدنين من اجل اضفاء لمسات جميلة على مقام المدينة لتزيد بهاءاً والقا وزهوا، وهي من المقاهي، المأمولة لاحداث هذا الاثر، الى جانب كونها ملتقى للمقهى وعشقه للمكان اختار السكن في نفس البناية التي تحتوي المقهى، في احد طوابقها.. والروائي العراقي الكبير المرحوم فؤاد التكرلي، الذي كان بالتأكيد من ثمار ملازمته للمقهى استلهامه افكار رواياته التي تناولت الحياة البغدادية وفي مقدمتها روايته الرائعة (المرجع البعيد) التي عدت من اجمل الروايات العربية واهمها، بتناولها البيئة البغدادية في مناطق (باب الشيخ والمربعة) وغيرها من مناطق بغداد القديمة، وقد ترجمت الى عدد من اللغات العالمية، واعطيت اسما يتواءم مع الترجمة وهو (اصوات الفجر) ورواياته واعماله الادبية الاخرى.

وكذلك احد اعمدة القصة القصيرة في العراق القاص نزار عباس، والشاعر المتمرد على الواقع والشعر العراقي المثير حسين مردان، صاحب المجموعة الشعرية الجرئية (قصائد عارية) التي ادخلته السجن، حيث عدت واشعاره الاخرى خروجا على المألوف الشعري وتجاوزا على شعر تلك الايام، وقد اثارت وقتها ضجة كبيرة، وهيجب الجهات المحافظة لترفع قضية ضده في المحاكم العراقية اسوة بالشاعر صفاء الحيدري ومجموعته (اوكار الليل) التي تطرقت الى واقع الليالي المحرمة والحمراء في بعض امكنة بغداد.

والكاتب والروائي والناقد الفلسطيني العراقي "جبرا ابراهيم جبرا، الذي قدم للمكتبة العربية العديد من الروايات والمجاميع القصصية والكتب النقدية والفنية وحتى الشعرية وغيرها من الاعمال الادبية التي اصبحت من روائع الادب العربي مثل (روايات (صيادون في شارع ضيق والسفينة).

وجلس فيه رائد الحداثة في القصة العراقية الكاتب عبد الملك نوري، والشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي وانتج فيه مجموعاته المهمة في الشعر الحر والحديث ومنها (اباريق مهشمة، وملائكة وشياطين).

والشاعر كاظم جواد، الذي لم يأخذ نصيبه من النقد والشهرة مع أنه شاعر كبير!، من الاسماء المهمة في حقبتي الخمسينيات والستينيات والقاص والروائي الكبير غائب طعمة فرحان الذي انتجت مخيلته الخصبة رواية (النخلة والجيران) احدى اهم الروايات التي ارخت للحياة البغدادية والطبيب المشهور اكرم الوتري، والفنان الرائد فائق حسن من تيار المدرسة الواقعية في الفن التشكيلي العراقي، ومبدع الجدارية المذهلة التي تطل على ساحة الطيران في الجانب الشرقي لحديقة الامة، وغيرها من الاعمال البديعة والدكتور اكرم فاضل واكرم علي وعبد الجبار الجواد والكاتب والفيلسوف المثير للجدل مدني صالح.

الى جانب احتضانها الكثير من الاسماء المبدعة في الثقافة العراقية فقد كانت الوعاء المناسب لاتجاهات التحديث في الادب والفن العراقيين واجوائه كانت تشجع وتناغم رغبات واحلام الفنانين والادباء على الخلق والعطاء الثر يرتدون زيا موحدا، وهو مخالف للمألوف والمتعارف عليه في المقاهي البغدادية.

وكانت وظلت حتى انقراضها تحتوي على ماكنة القهوة التي تحصصها ثم تطحنها وتقدمها عطرة في الفناجين. وكذلك فاترينات العرض للجبنة البلغارية.

والماكنة التي تقدم انواع "الدوندرمة" من الموصوفة بـ "كلاسيه"، والدوندرمة بالشوكولاته، والدوندرمة بالفواكه، فضلا عن شراب الشاي والعصير والشاي حليب والنسكافيه.

وهي بحالها هذه لم تكن محض ملتقى يرتاده من يبحثون عن راحة وقتية، او يزجون بعض فضلة من الفراغ، بل كانت منتدى للادب والثقافة وملتقى للاراء، وموئلا للافكار.

ان وظيفتها كانت ابعد من ان تكون كنقطة

كان من روادها منذ سبعينيات القرن الماضي، هو ومجموعة من اصدقائه، يمضون فيها سويعات جميلة في الصيف والشتاء، وكانت احدى وسائل ومقومات ابداعهم ونتاجهم الكتابي، حيث اتكأت اوراقهم على مناضده، وساعدت اجوائها على قراءاتهم النهمة لعدد كبير من الكتب والمؤلفات المختلفة، واتاحت لهم فضاءاتها نقاشات وحوارات مفيدة.

"نهاية حزينة"

ان الوهن دب في هذه المقهى الذي اشتق اسمها من نوع القهوة التي اشتهرت بتقديمها وهي "القهوة البرازيلية" والتي كانت تستقبل الجنسين في الحقب السالفة.

دب منذ منتصف الثمانينيات عندما انطفأت انوار بغداد وشارع الرشيد، واصبحت شوارعها شبه مهجورة، وبعد ان ظهرت مقاه للمعلمين المصريين في منطقة المربعة، طغت على فاعلية المقهى واضعفت دوره ومكانته، ساعد في ذلك اهمال الجهات المختصة للمحافظة عليها مثل امانة العاصمة، والادارة المحلية لمدينة بغداد ودائرة الاثار والتراث. وتركت عرضة للتآكل والانقراض وئيداً، ليختفي معلم ثقافي وتراثي، ولتخسر مدينة بغداد شاخصا دلاليا مهما. على الرغم من الاستغاثات والاستنكارات التي انطلقت من مجموعة من الغيارى على مدينة بغداد ومعالمها وملامحها الادبية والثقافية والتراثية وشواهدها وامكنتها ومواقعها التي كانت جزءا اساسيا من النسيج الحضري للمدينة.

ولعل من المفيد واستكمالا في هذا المجال الاشارة الى محاولات احد رواد وعشاق المقهى لتنبيه الجهات المختصة والمسؤولة للمصير المأساوي الذي كان ينتظر المقهى، والتحديات التي تتربص بها لالغائها وتغييبها وانهاء وجودها، سواء من قبل المالك الذي كان يسعى لاستثمار مكانها في انشطة تجارية اخرى اكثر ربحا وفائدة. او من قلة المتابعة للاجهزة المسؤولة لما ينتظرها ويحيطها من مخاطر الازالة والتغيير. فقد حاول الاديب والكاتب مؤيد معمر الذي ارتبط بالمقهى بوشيجة قوية منذ ايام الدراسة في الستينيات وحتى تعيينه في وزارة الخارجية في السلك الدبلوماسي، والى ما بعد تركه الوظيفة متقاعدا، وامتهانه حرفة الادب والكتابة، في سعي له لانقاذها، متصلا بامانة بغداد، وكتب في الصحافة عنها، وناشد كل من له قدرة لانتشالها من الغرق، ولكن ذهبت محاولاته ادراج الرياح، وغدت ذكرياته معها في خبر كان، حتى جعلنا نردد معه البيت الاتي في الماضي والحاضر!!

إذا وجدت لهيب الشوق في كبدي
اقبلت نحو سقاء القوم ابترد

لقد كانت حقا نهاية حزينة ومؤلة لذلك المقهى العتيد، احد علامات ودلالات المكانة الحضارية والمتميزة لمدينة بغداد، والشاهد على الذوق البغدادي الرفيع في تلك الايام الجميلة والزمن الانيق.. فيا حسرة على الماضي البديع.

باحث في التراث العراقي

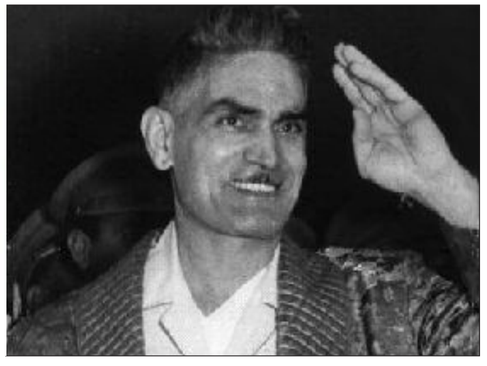

ما سر انقلاب العراقيين على طاعة السلطان العثماني بين عشية وضحاها ؟

جواد الرميثي

بعد ان استفحل مرض الطاعون واهلك جمعا من اهالي بغداد لم يسلم منه حتى واليها داود باشا ، عين الوالي جنودا لتنظيفها ، وخصص مبلغا من المال لنقل كل جثة ، وكانت تلك الجثث مرمية في الطرقات والاسواق والبيوت مما ادى الى تعفن الهواء حدا لايطاق ، قام الجنود برمي الجثث في نهر دجلة من غير تكفين بعد ان يتم شدها من ارجلها بالحبال وربطها بذيول الحيوانات لسحبها حتى شاطىء النهر وهي مقلوبة على وجوهها ، بعد ان خفت وطأة الطاعون وبدأ الذين هربوا من بغداد بالعودة الى بيوتهم ، انتشر خبر قدوم الجيش العثماني الى بساتين الكاظمية على مبعدة اميال قليلة من شمالي بغداد ، ارسل قائد الجيش العثماني علي رضا باشا طلائع من قواته بامرة قاسم باشا العمري يرافقه (صفوك) شيخ عشيرة شمر وسليمان الغنام احد شيوخ (عكيل) ، وبعد ان وصل قاسم باشا بغداد قادما من الموصل ، ارسل رسله الى علماء بغداد واعيانها يدعوهم الى طاعة السلطان وطرد الوالي المعزول داود باشا يساعده في ذلك اخوه قاضي بغداد .

كان الوالي داود باشا لا يزال يعاني اثار مرض الطاعون الذي اصيب به وقد تخلى عنه خدمه وحرسه ولم يبق الا عدد قليل منهم معه لا يتجاوز الخمسين فردا ،مما كان يدفعه الى ان يستسلم للجيش القادم ، فوجيء داود باشا في احد الايام بتظاهرة اتية من محلة باب الشيخ وتردد هتافات معادية له يتقدمها رؤساء واعيان المحلة واحاطوا بسراي الحكومة واشعلوا النيران في احد ابوابه مما دعا احد عبيده الى اطلاق النار على المتظاهرين ادت الى اصابة بعضهم وفرار بعضهم الاخرومن دون علم الوالي او الحصول على اذن منه.

خرج الوالي داود باشا متخفيا تحت جنح الظلام هوه وعبده الحبشي (فيروز) بعد ان ادرك موقفه الحرج والتجأ الى دار (حبيبة خانم) ، ولما انكشف امره في اليوم التالي ، جاءته مجموعة من الاعيان واخرجوه بكل احترام من تلك الدار وذهبوا به الى دار صالح بك بن سليمان الكبير كوديعة عنده لحين تسليمه الى الوالي الجديد عند قدومه الى بغداد ، وبعد دخول قاسم باشا العمري الى بغداد قادما من الكاظمية ، استقبله اهالي بغداد ، بمختلف طبقاتهم ، بالعز والاجلال ...واعتقد قاسم باشا ان كل شيء قد انتهى وان بغداد اصبحت في قبضة يده ، لذا ارسل رسله الى الوالي علي رضا باشا يدعوه الى المجيء الى بغداد لتسلم مقاليد الحكم فيها ، غافلا عما يخبئه القدر له في صباح يوم ١٣ حزيران عام ١٨٣١ م ، ففي هذا اليوم ، وعندما كان قاسم باشا ينتظر تسليم داود باشا اليه في السراي ، سمع ضوضاء من الخارج كان مصدرها جماعة غفيرة من الناس تريد مهاجمة السراي يقودها محمود افندي النقيب ومؤلفة من الاهالي والمماليك وجماعة من عشيرة (عكيل) التي تسكن صوب الكرخ ، استطاعت هذه الجماعات ان تستولي على مخزن السلاح وتمطر السراي بالرصاص والقنابل .

في داخل السراي ، كان مع قاسم باشا ، الشيخ سليمان الغنام احد شيوخ (عكيل) ومعه نحو ثلاثة الاف من عشيرته الذين كانوا يدافعون عن السراي ، وهذا يعني ان عشيرة (عكيل) قد انقسمت الى قسمين ، قسم خارج السراي يريد مهاجمته ، والقسم الاخر في داخله يدافع عنه ، شعر سليمان الغنام انه يقاتل مع الطرف الخاسر ، فاسرع الى الخزينة مع رجاله ، فكسروها ونهبوا ما فيها ، ثم اشعلوا النار في السراي وخرجوا مع غنيمتهم باتجاه الباب المعظم والقوا بانفسهم في دجلة عابرين الى صوب الكرخ مما ادى الى غرق بعضهم اثناء العبور ، هجمت الجماهير المحيطة بالسراي عليه ودخلته تنهب ما فيه وتدمر ما بقي ، ولم تترك فيه شيئا من النفائس التي كان يقتنيها داود باشا ، وكانت النقود والمصوغات الذهبية والفضية تشاهد ملقاة في الازقة بعد سقوطها من ايدي (السراق) ، اما قاسم باشا العمري فلم يُعرف له مصير ، لكن (جيمس بيلي فريزر) ذكر في روايته عنه حينما تركه حرسه الخاص ، اقتاده احمد باشا (التفكجي باش) الى بئر قريبة والقاه فيها.

مما يسترعي النظر، سرعة هذا التحول العجيب في سلوك الجماهير البغدادية ، فنراهم قد انقلبوا بين عشية وضحاها من طاعتهم لأمر السلطان ، الى عصيانهم له ، فما السبب يا ترى في ذلك ؟ يحاول (سليمان فيضي) في كتابه (تاريخ بغداد) تعليل ما جرى ، وهو شاهد عيان على الاحداث ، فاشار الى الاعمال الفظيعة التي قام بها الاعراب من اتباع سليمان الغنام و (صفوك) في اثر دخول قاسم باشا العمري الى بغداد ، حيث اخذ هؤلاء يرتكبون المنكرات وينهبون الدور ويتعرضون بالنساء ، حتى ان (صفوك) امر اتباعه ان يأتوه بأرملة سليمان اغا وان يبحثوا عنها في اي مكان ، زاعما ان علي رضا باشا وهبها له ، ان هذه الفظائع في رأي سليمان فائق هي التي جعلت جماهير بغداد تثور على قاسم باشا وتتحدى امر السلطان ، بعد ان كانت قد اعلنت الطاعة له .

قاسم الجنابي آخر مرافقي الزعيم عبد الكريم قاسم يفتح خزانة اسراره

(2)

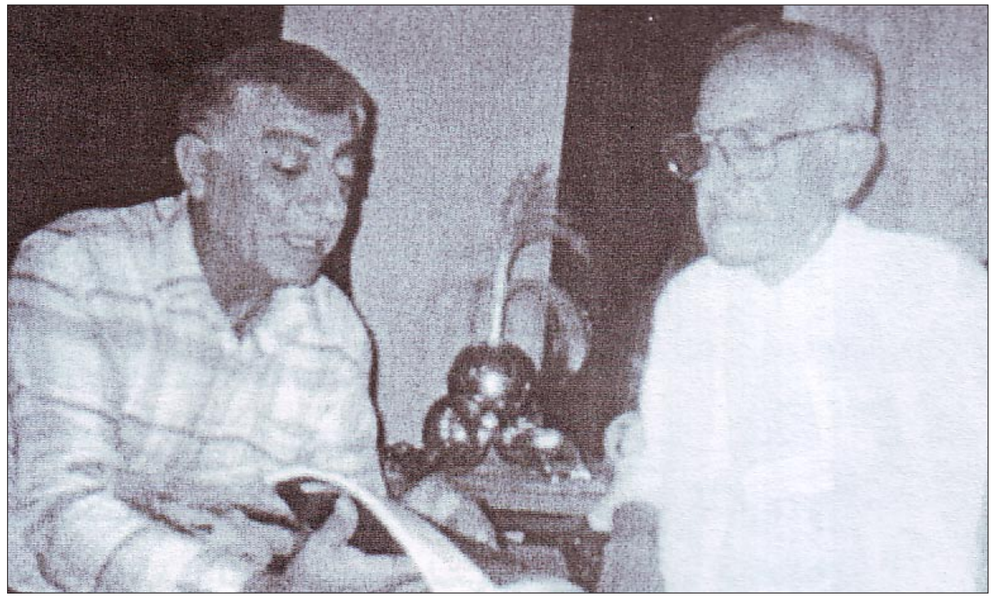
الجنابي في حوار مع المحرر

طارق ابراهيم شريف

يواصل المقدم الركن المتقاعد قاسم الجنابي آخر مرافقي الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم الباقين على قيد الحياة فتح خزانة اسراره ويكشف النقاب لأول مرة عن جوانب هامة من سيرة ومسيرة الزعيم اتيح له الاطلاع عليها بحكم عمله كمرافق شخصي له طوال مدة حكمه للعراق.

وفي هذه الحلقة يروي تفاصيل محاولة الاغتيال التي استهدفت حياة الزعيم ومن معه في شارع الرشيد يوم ٧ تشرين الاول ١٩٥٩. وفيما يلي تكملة الحوار الذي اجريناه مع الجنابي في داره بحي الضباط في منطقة الزيونة ببغداد.

× بحكم مرافقتك للزعيم طوال مدة حكمه، هل من مفارقات حصلت معه لاسيما خلال جولاته التفقدية في انحاء بغداد؟

– كان الزعيم قد اعتاد القيام بجولات تفقدية بسيارته في انحاء بغداد بعد انتهاء الدوام الرسمي وخلال ساعات الليل ولم يكن يصحب معه خلالها سوى احد مرافقيه وسائق سيارته وقد رافقته في معظم جولاته التفقدية تلك حيث كانت جماهير الشعب خلالها تحيط بسيارته وتتدافع لتحييه وتهتف باسمه ومما اتذكره في هذا الصدد ان الجماهير حملت سيارته بايديها ورفعتها عن الارض اكثر من مرة اثناء مرورها في شارع الرشيد تعبيراً عن حبها للزعيم الذي كرس حياته لخدمة ابناء الشعب وخاصة الفقراء منهم..

ومن المفارقات التي حصلت هي انه خلال احدى جولاته التفقدية باحدى ضواحي بغداد اوائل عام ١٩٥٩ تعرض احد اطارات سيارته الى عطب ولم يكن برفقته حينذاك سوى مرافقه زميلي المرحوم حافظ علوان وسائق سيارته فاضطر للترجل من السيارة ووقف مع مرافقه بجانب السيارة على الشارع العام الذي كان خاليا من المارة وانهمك السائق باصلاح العطب، وصادف في تلك اثناء ان مر من هناك الضابط العسكري صبحي عبد الحميد بسيارته وكان يومها برتبة رائد وهو من الضباط الاحرار المساهمين في ثورة ١٤ تموز، وعندما شاهد الزعيم اوقف سيارته وعرض عليه ايصاله الى المكان الذي يقصده فركب معه الزعيم في سيارته وعاد الى مبنى وزارة الدفاع ثم ذهب صبحي الى سبيله، وبعد فترة عاد سائق سيارة الزعيم هو الآخر الى مبنى وزارة الدفاع بعد قيامه باصلاح عطب السيارة.

× كنت مع الزعيم اثناء محاولة اغتياله في شارع الرشيد ببغداد حيث اصيب كلاكما بجروح.. هل لك ان تحدثنا عن تفاصيل الحادث؟

– في مساء يوم ٧ تشرين الاول ١٩٥٩ كان الزعيم مدعوا لحضور حفل دعى اليه الملحق التجاري في الممثلية التجارية لجمهورية المانيا الديمقراطية بمناسبة العيد الوطني لبلاده، وفي الموعد المحدد غادرنا مبنى وزارة الدفاع بعد ان استقلينا سيارته حيث جلست انا والسائق كاظم عارف في مقدمة السيارة وجلس الزعيم كعادته في المقعد الخلفي ثم تحركت السيارة دون حماية او حراسة متجهة نحو شارع الرشيد وازدحمت الجماهير وتدافعت كعادتها لتحيي الزعيم وتهتف باسمه وعند وصولنا الى منطقة رأس القرية وكانت الجماهير ما تزال تهتف باسمه فوجئنا بسيارة تحركت من جهة اليمين وسارت اما سيارة الزعيم ثم ما لبثت ان انحرفت مسببة عرقلة سير السيارة التي كنا نستقلها مما اضطر سائقها كاظم الى التوقف.

وما ان توقفت سيارة الزعيم حتى انفتحت علينا نيران الاسلحة الرشاشة من مسافة قريبة ومن جميع الجهات فاصيب سائق سيارة الزعيم باصابات بليغة فارق على اثرها الحياة، كما اصبت انا بجروح لكن رغم اصابتي تناولت مسدسي بيدي اليمنى وحاولت فتح باب السيارة بيدي اليسرى، وفي تلك الاثناء سمعت الزعيم يسألني قائلا: (اشلونك قاسم) اي كيف حالك يا قاسم؟ فاجبته سيدي انني مصاب بجروح لكن كيف حالك انت؟ فاجابني قائلا: انني بخير رغم اصابتي بجروح مثلك، وبعد جهد استطعت ان افتح باب السيارة وحين وطأت قدماي الارض والدماء تسيل من جروحي توقف الرمي ولاذ الاشرار بالفرار حيث اختبأوا من غضبة الجماهير، ثم سقطت على الارض مغشيا عليّ، وحينما افقت بعد دقائق رأيت عدداً من المواطنين يحيطون بي وانا ساقط على الارض فسألتهم اين الزعيم وكيف حاله؟ فاجابوني؟ (زعيمنا سلامات ونقلوه الى المستشفى).

ونظرت الى الارض فرأيت دماءنا نحن الثلاثة قد سالت عليها ، ثم نقلتني سيارة احد المواطنين الى المستشفى الجمهوري حيث قام الاطباء باسعافي في الحال، وفي تلك الاثناء حضر الى المستشفى الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة مرتديا الزي العسكري لاول مرة مما لفت الانتباه وكان يظن ان الزعيم قد نقل الى المستشفى المذكور وبعد ان اطمئن على حالتي الصحية غادر المستشفى على عجل بحثا عن المستشفى الذي نقل اليه الزعيم، ثم جاءني البعض ليستفسر عن صحتي فكنت اسألهم واستفسر منهم عن صحة الزعيم ولم يهدأ لي البال الا حين استمعت الى كلمته الموجهة بصوته عبر الاذاعة وهو يطمئن ابناء الشعب بانه بخير مؤكدا انه عاهد الله بان يخدم الوطن ويفني في سبيله، وان الرصاصات التي اصابته ما هي الا جزء من واجبه لخدمة شعبه ووطنه.

× كيف جرى نقل الزعيم الى المستشفى بعد اصابته بجروح اثناء الحادث؟

– سبق ان ذكرت لك بانني اثر اصابتي بجروح في الحادث سقطت على الارض مغشياً علي وعندما افقت سألت من المواطنين الذين كانوا حولي في مكان الحادث عن حال الزعيم فاجابوني بانه نقل الى المستشفى، وقد تبين في ما بعد من خلال شهود الحادث ومنهم المواطن سلمان علي الذي كان يعمل مركبا للاسنان في مكان الحادث والذي ادلى بشهادته امام المحكمة العسكرية الخاصة التي عرفت بـ (محكمة الشعب) وتولت محاكمة البعثيين المتهمين بتنفيذ العملية تبين ان المواطن المذكور قام مع طالبين كانا في مكان الحادث بايصال الزعيم الى مستشفى السلام ببغداد بسيارة الزعيم نفسه والتي تولى سياقتها سائق سيارة عسكرية كانت واقفة بالصدفة هناك وعند وصولهم الى المستشفى سارع العاملون فيه الى نقل الزعيم الى غرفة العمليات وكانت الدماء ما تزال تنزف من جروحه بسبب اصابته باربع اصابات في كتفه واحدى يديه، ورغم توسلات الاطباء وتوصياتهم بضرورة تضميد جراحه اولا الا انه اصر على توجيه كلمة بصوته لابناء الشعب يطمأنهم فيها بانه بخير.

وحسب ما جاء في افادة المواطن سلمان علي ايضا فان اول الذين وصلوا الى المستشفى كان العقيد وصفي طاهر المرافق الاقدم للزعيم وعبد الجبار المهداوي ابن خالة الزعيم ثم وصل تباعا كل من خالد النقشبندي عضو مجلس السيادة ومحمد عبد الملك الشواف وزير الصحة واقارب الزعيم واحمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش والحكم العسكري العام وقادة الجيش، وكانت الجماهير في تلك الاثناء قد تجمعت حول المستشفى للاطمئنان على سلامة الزعيم.

× كيف تمت السيطرة على الاوضاع العامة في البلاد في تلك الظروف الصعبة؟

– لقد ظهر اللواء الركن احمد صالح العبيدي رئيس اركان الجيش والحاكم العسكري العام متفانيا في اخلاصه للزعيم يومذاك حيث سيطر سيطرة تامة على الاوضاع العامة واتخذ اجراءات ضرورية لحفظ الامن والاستقرار في العاصمة وعموم البلاد ومنها اعلان منع التجول في بغداد وضواحيها ومنع اقامة المظاهرات والتجمعات وكان يصدر البيانات عبر الاذاعة والتلفزيون حول مستجدات الموقف.

× كم هي المدة التي بقي فيها الزعيم راقدا في المستشفى؟

– بقي الزعيم راقداً في المستشفى مدة ٤٦ يوما اجرى له خلالها العلاج اللازم، وخلال المدة المذكورة زاره في المستشفى الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة واعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين في بغداد متمنين له الشفاء، وبالنسبة لي بعد مغادرتي المستشفى الجمهوري اثر تماثلي للشفاء التحقت بالزعيم في مستشفى السلام وبقيت الى جانبه مع المرافقين الاخرين وصفي طاهر وحافظ علوان لحين مغادرة الزعيم المستشفى يوم ٣ كانون الاول ١٩٥٩ حيث سمي ذلك اليوم بـ (عيد السلامة) واصبح عيدا رسميا يحتفل به كل عام.

× ماذا عن شهادتك امام (محكمة الشعب) حول هذه القضية؟

– بعد القاء القبض على المشاركين في تنفيذ هذه العملية احيل المتهمون على المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب) لمحاكمتهم بالتهم الموجهة اليهم، وخلال الجلسة الاولى التي عقدتها المحكمة يوم ٢٦ كانون الاول ١٩٥٩ للنظر في هذه القضية استدعتني المحكمة للادلاء بشهادتي حيث كنت الشاهد الاول في هذه القضية، واوضحت للمحكمة تفاصيل الحادث كما رأيته وعشت وقائعه، واقوال شهادتي تلك مثبتة في الجزء العشرون من اجزاء وقائع جلسات المحكمة المذكورة.

الجماهير رفعت سيارة الزعيم اكثر من مرة خلال جولاته ببغداد تعبيرا عن اعتزازها به بعد اصابة الزعيم بجروح في شارع الرشيد عام 1959 اصر على توجيه كلمة لأبناء الشعب بصوته قبل تضميد جراحه!

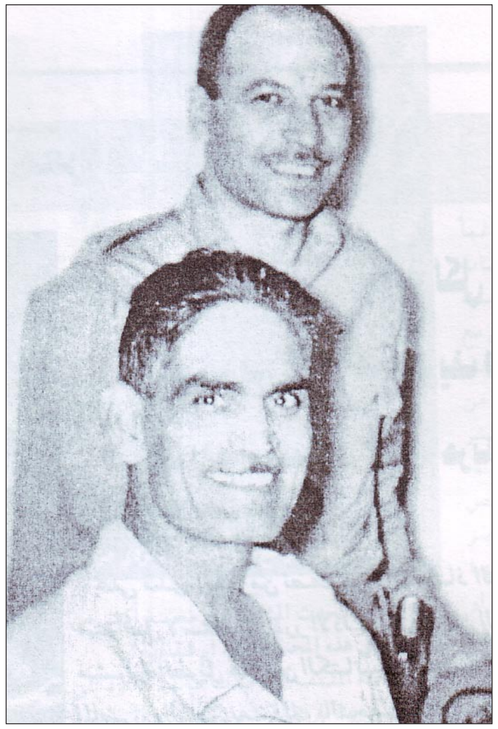
عبد الكريم قاسم وخلفه مرافقه قاسم الجنابي في مستشفى السلام ببغداد خلال تلقي الزعيم العلاج اثر اصابته بجروح في تشرين الاول ١٩٥٩

حقي الشبلي

بداية صائبة وعطاءات مثمرة

حمدي قدوري

فارقنا حقي الشبلي يوم الخميس ١٩ حزيران لتبقى ذكراه في عالم الفن.. لدرجة ما عاد للماضي الا الذكرى.

يعرفه الجميع رئيسا لنقابة الفنانين لفترة تجاوزت عقدا من الزمن انتخبت لها مباشرة بعد تقاعده عن التفتيش الفني في وزارة التربية ورئاسة الفرقة القومية للتمثيل، والاذاعة والتلفزيون وعمادة معهد الفنون الجميلة، ومعاونية العمادة في المعهد المذكور ورئيس قسم المسرح في المعهد ايضا واستاذ التمثيل، ومدرس النشاط المدرسي في الاعدادية المركزية وطالب البعثة في باريس ومدير فرقة مسرحية وممثل.. منذ العشرينات وحتى اخر دور له في السينما العراقية، و، و...

عرفت حقي الشبلي لاول مرة عام ١٩٣٩، حينما كنت عازفا صغيرا في فرقة وزارة المعارف الموسيقية وكنا نعزف في فعاليات واستعراضات الفتوة والكشافة والاشبال. كما وتشارك فرقتنا الموسيقية العسكرية الطابع في مرافقة الحفلات التي تقيمها الوزارة في مسارحها. دار المعلمين والاعدادية المركزية، وفي قاعة الشعب عند افتتاحها في نهاية الثلاثينيات، وكان فريق حقي الشبلي المدرس يقدم احدى التمثيليات.. وكان رحمه الله دائم الحركة يدير وينسق كل مشاركة فيها، ويأتي مشجعا وطالبا حيث كنا نجلس، لنعزف ونملأ اي فاصلة او موسيقى تصويرية يطلبها منا.

كان منصبه، بعد رجوعه من البعثة الحكومية للتمثيل مسؤول النشاط في الاعدادية المركزية ومن هذا المنطلق كان مساهما في كل فعالية، حتى ولو كانت العاب الساحة والميدان التي تنظمها وزارة المعارف، فكل شيء بحاجة لإخراج، وهو المخرج المسرحي الاول عندنا في ذلك الوقت.. وقد سعى ونجح في مسعاه في انشاء قسم للمسرح في المعهد الموسيقي في مطلع الاربعينات، والذي اصبح يعرف بعد ان كملت اقسامه الثلاثة، الموسيقى، والتشكيلية، والمسرحية، باسم معهد الفنون الجميلة وكان حقي محط انظار كل من يرى في نفسه موهبة للمسرح او من الممثلين القدماء، الذين كان البعض منهم زملاء له في فرقته التي حلها قبل سفره لباريس في منتصف الثلاثينات.

وكان يملك اسرار المهنة التي تعلمها في باريس من خلال تمرينه في مسارح باريس، خاصة في مسرح شارل دولان والكوميدي فرانسز ومعايشة الحركة المسرحية الراقية لباريس ما بين الحربين العالميتين. وكان طموح العشرين طالبا الاوائل تقريبا، تعلم الاصول النظرية والعملية للمسرح، والتعرف على تاريخ المسرح، والصوت والاضاء، والتشريح والانارة، والمكياج، والديكور، بجانب اللغة والادب العربي، وكان هذا كثيرا على بعض المتقدمين في السن، من كان لهم باع في التمثيل حتى قبل ان يدخلوا المعهد.

ومع ذلك صبروا، ولم يتغيبوا عن دروس حقي الشبلي، فهي العلاج لتكوينهم الفني، ليصبحوا مكتفين ذاتيا في اعمالهم المسرحية.. ومن الصعوبات التي لاقاها حقي الشبلي، كانت الحصول على عنصر نسوي، يقوم بالتمثيل مع الرجال، بقدر من الكفاءة والشجاعة، وليواجه الجمهور المحافظ، والبعيد نسبيا عن المسرح في تلك الايام وكان ينجح احيانا في التعاقد مع واحدة، من خارج المعهد، لتقوم بدور نسوي بعد ان يبذل جل جهده لتلقينها اصول دورها.. وبما انه كان بحاجة لاكثر من ممثلة فقد كان يلجأ الى تغيير شكل بعض تلامذته ليقوموا بدور المرأة. ولولا حب الفن واحترام التلامذة لاستاذهم الفذ حقي الشبلي لما قبلوا بهذا الدور.

لقد طرح حقي الشبلي مسرح موليير لاول مرة عندنا، وكان قد رأى في اعمال الكاتب الفرنسي الساخر، خير مادة لتعليم التمثيل لطلبته، وتجاوب الجمهور الذي يعشق النقد والتهكم وخفة الدم.. وفعلا تعرفنا على البخيل.. والطيب رغم عنه، والعامي المتانق وغيرها من مسرحيات موليير الشهيرة، وكان لتحضير لهذه المسرحيات يستمر طويلا، وياتي بثمار حسنة، وكان من ميزات حقي الشبلي المخرج لم يعد ممثلا، منذ ان عاد من دراسته في إلخارج، اكتشاف الشخصية المناسبة للدور وتأييره الساحر على ممثليه لتقمص ادوارهم حتى وان لم يكونوا مناسبين في كثير من الاحيان.

كان هدف حقي الشبلي اعطاء شرعية ووجود للممثل والعمل المسرحي ورفع العيب وقلة الشان عن الممثل، وذلك من خلال تكوينه على اسس علمية صحيحة كما شاهدها في باريس، ويجعل الممثل، عامل ديكور، ومصمم ازياء، وانارة، وجميع ملحقات المسرح بجانب الاخراج والمساعدة فيه والاعمال المكملة من موسيقى تصويرية الى ادارة مسرحية ومكياج.. وكان هذا عونا كبيرا قدمه لفناني المدن والقرى العراقية، حيث كون كل منهم مسرحه بنفسه ونشر رسالة حقي الشبلي خارج بغداد.

وهنا توقف عند جهده الكبير في انشاء الفرقة القومية للتمثيل وكفاحه المستمر لانشاء مصلحة السينما والمسرح والاستوديوهات والمسرح اللائق بعراقنا الحبيب ونجح في جعل نقابة الفنانين نقابة كبيرة ضمت كل العاملين في الفن.

ان البذرة التي بذرها حقي الشبلي نمت وترعرعت غصونا شامخة، تتنوع وتتكاثر بعشرات المسارح لتصبح حديث الناس ولتمتلئ مقاعد المسارح بنظارة يحبون المسرح ويتغذون من غذاء الفن.

ناجي جواد الساعاتي بين التجارة والادب

حوار: عبد الله اللامي

لاضيف شيئا جديدا، حينما اريد الحديث عن الرحالة الساعاتي ناجي جواد.

والساعاتي ناجي، حقق حلم والده، حينما حرص على الحفاظ على التراث العائلي، واصبح (مصلح) ساعات شانه شان اخوته وعمه، واخذ يجمع الساعات النادرة منها في داره الخاصة، ثم اهداها الى المتحف البغدادي وجمعت في قاعة خاصة في المتحف، واثمنها واندرها ساعة كان يحملها (الملك فيصل الاول) جيبية ذهبية.

والرحالة الساعاتي عاش حياتين متناقضتين، لا تمت الواحدة للاخرى بصلة، فالحياة الاولى عاشها مع زبائن (الساعات) وتجارها والصفقات التجارية.

والحياة الاخرى التي عاشها هي العلم والمعرفة ورحاب الجامعة والمحاضرات والامتحانات، وطربه الشديد والمتزايد لشعر الجاهلية وعشقه لادب (الزيات طه والعقاد وجبران والمنفلوطي ونعيمة) والتي كانت تمتد منذ الثلاثينيات وكان اصغر اخوته الاربعة.

وقد اقتنى مجموعة من الكتب النادرة وكان اعزها (ديوان عمر الخيام) ترجمة الشاعر احمد الصافي، وحينما نمت شخصيته التجارية، واصبح له محل في شارع الرشيد وتبلورت ميوله الادبية، فنشرت له بعض الصحف والمجلات، مقالات ادبية وقصصا قصيرة، وكان اغلب ما نشر له في (مجلة الهاتف) و(جريدة البلاد)، وقد توطدت علاقته باصحاب المكتبات من ابناء جيله الشباب مثل (علي الخافاني) و(قاسم محمد الرجب).

وقد ساهم في تأسيس مكتبة عامة في (جامع الخاني) والتي خصص لها غرفة متواضعة بجوار المصلى، لتكون مقرا لادارة المكتبة، التي اتخذوها كصف لتدريس الاميين من العمال والكسبة، واضحت المكتبة بخزانتها التي تضم حوالي ٣٠ / الف كتاب من امهات الكتب والمظان والمراجع.

وقد اختص بادب الرحلات فمنذ خمسين عاما، وما يزال لا يستطيع ان يستقر سنة واحدة دون سفر، ليس سفرا من اجل التجارة ولا للراحة والاستجمام كما جرت العادة، انما من اجل الادب والتاليف.

زار العديد من الدول وكتب عنها ومنها (رسائل من الهند) و(من ادب الرحلات) و(قصة الوقت) و(رحلة الى الاندلس) و(مع الايام) و(رحلة الى افريقيا) وغيرها من الكتب الادبية والثقافية.

والساعاتي ناجي الذي ولد عام ١٩٢٢ في ازقة بغداد الضيقة الطيبة والجميلة، لا يفكر بشيء غير السفر والكتابة، واحيانا قليلة في مهنته التي يعمل بها منذ خمسين عاما تقريبا.

عندما كان منذ خمسين عام تقريبا، عندما كان عمره لايزيد عن (١٥) عاما ينظر الى مهنته، نظرة تختلف كثيرا عما ينظر اليها الاخرون فهو يحضر معارضها التي تقام سنويا في سويسرا ويتابع اخبارها وتطورها.. وتحولت تدريجيا من مهنة الى فن يتمتع به ويتذوقه.

وكان كتابه (قصة الوقت) اول كتاب عربي يتناول موضوع الساعة من زوايا كثيرة، ادبية وفلسفية ورياضية ويتابع تطورها في الشكل منذ نماذجها الاولى قبل عدة قرون، وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية لتفرده واهميته.

ويتحدث بفخر عن كتاب عالميين مشهورين اشتغلوا او حاولوا الاشتغال في بيع وتصليح الساعات، (فولتير) مثلا حاول ان يفتح معملا للساعات في سويسرا، بعد ان طرد من فرنسا، و (جان جاك روسو) ظل زمنا طويلا يعمل اغلفة ساعات في جنيف قبل ان يصبح كاتبا مشهورا.

وله في كل بلد من المشرق والمغرب اصدقاء يكتب عن بلدانهم من خلال مشاعرهم الذاتية، عن كل ما يعكس صورتك البلدان عبر ذاته، فهو يتكلم عن التجارة وكانه جزء من اماكنها يمزج نفسه باحداثها، فيقف امام الاثار ومظاهر الطبيعة من خلال عرض لملامحها التاريخية وطوافه الهادئ في رحاب تلك المعالم والاثار.

× وحينما تساله عن احب صنعة الى قلبه التجارة ام الادب فيجيبك؟

– طموحي الاول كان يهدف بالدرجة الاولى لان اصبح اديبا، هذا على الرغم من ان عائلتي كلها تخصصت بالتجارة والزراعة ولكن ما دفعني الى التجارة مع بقاء تعلقي بالادب هو اعتقادي بان الاديب او الفنان يجب ان يغذي كيانه المادي لكي يتجنب طلب المساعدة من الاخرين، اي ليكون له مصدر عون يقيه من الشعور بالضعف، فيكون اكثر حرية في خلقه وابداعه وهنا يحضرني قول القائل:

اتجنب ذل السؤال ومنة البخلاء

× وكيف وفقت بين الاثنين؟

يجيبني الساعاتي:

– التنظيم في الوقت والعمل، وليس اي شيء اخر، لقد اكملت دراستي في الحقوق، وانا اعمل في التجارة، ولا شك ان التنظيم والمثابرة، يؤديان الى النجاح، وكان جيلنا اوفر حظا من جيل اليوم، عايشت جيل طه حسين والمنفلوطي وجبران وشعراء المهجر وتاثرت بهؤلاء ايما تاثير، ولا انكر فضل ادب الرحلات لاين بطوطة، وابن خلدون لكن اسلوبي تأر بادباء النصف الاول من هذا القرن وادباء مطلعه.

× واساله هل من مقارنة بين الخوف والرهبة لرحلاتك؟

– لا اظن ان ادباء الرحلات كانوا يخشونها، واعتقد ان سر رغبتي في السفر، هو حب الاستطلاع والكتابة وحبي للناس على اختلاف الاجناس من دين ولون او قومية، وكذلك حبي للصداقات التي تسعدني كثيرا.

والحقيقة انني امام كل رحلة اشعر بالرهبة، وهذه اعزوها الى انني وعيت الحياة، وكان ابي قد توفاه الله، فاحتضنتني امي، واعتقد ان تعلقي الشديد بالام والبيت والوطن ترك في نفسي الخوف من البعد عن هذه الاماكن، ولو كان ابي لساعدني على الاقدام والشجاعة وكنت اقاوم نفسي من الرهبة في اسفاري بالتعرف على الناس، كما فعلت في رحلتي الى الهند التي امتدت ثلاثة اشهر.

× هل الرحلة الى الهند اثرت في نفسك؟ يقول:

– لا.. رحلتي الى الاندلس اعتز بها كل الاعتزاز، لانها تضم عبرا تاريخية وصورا من الامجاد لا تغيب عن اي مثقف، فبلاد الاندلس بامجادها القديمة مليئة بالاثار العربية على الصعيدين العمراني والثقافي، وفيها من العبر التاريخية ما يريك مختلف حالات النهضة والانحطاط التي مر بها العرب.

× وماذا تقول عن مجموعة قصصك (مع الايام)؟

– هذه المجموعة القصصية صدرت عن دار الاندلس سنة ١٩٦٧ في بيروت، وهي تجربة لا علاقة لها بادب الرحلات، ولكني شعرت بعدها باننى لا املك المقدرة الكافية لاكون قاصا مقارنة بالادباء القصاصين العراقيين امثال الخليلي وذو النون والتكرلي، وعبد الله نوري ومحمود السيد، فادب الرحلات هو ما اضع نفسي له واقدمه بقناعة، كان من الضروري اذن ان اختص بادب الرحلات، فلماذا ازج نفسي في ادب القصة القصيرة؟ مع اني كتبت قصص تلك المجموعة في اوقات متباعدة، تسجل حالات كان لها اثرها البعيد في نفسي فرأيت ان اجمعها في كتاب.

× ومواقف الساعاتي من النقد والنقاد وهل هناك كتاب اعجبك يحمل هذا الاتجاه؟

– هنا اقول: اعجبت بكتب معينة مثل (تجاربي مع الحقيقة) لغاندي، ومعظم كتب سلامة موسى، ونقدت كتاب (بين الاطلال) ليوسف السباعي، اما اسلوبي في النقد، فقد تأثرت باسلوب صديقي المرحوم الدكتور محمد مندور، وانا مؤمن بالنقد الانساني البناء. كما اني اعلق على ندرة النقاد والجادين.

× والناقد العربي؟

– اذن استثنينا طه حسين ومندور والنقاش وقلة اخرين، نجد ان النقاد العرب غير موجودين، وان وجدوا، فانهم يحاسبون الكاتب لا على اثره الادبي بل على سلوكه، وهذا النقد لا علاقة له بالنقد، انه تناول شخصي للكاتب، وفي اعتقادي هذا الامر لا يعرفه النقد العربي.

× لماذا اخترت ادب الرحلات بالذات؟

– انا اؤمن بان (فوق كل ذي علم عليم) ولكل اديب طريقة في العمل والاختيار في ولوج عوالم الادب والكتابة اما عن اختياري لادب الرحلات، فلاني سافرت كثيرا، الامر الذي وفر امامي طريقا اديبا، ربما لم يتوفر لغيري من الكتاب، وفي حبي للسفر اساسا نوعا من المغامرة والتضحية، واما اذا اراد الاديب المسافر ان يكتب عن رحلاته فلابد له ان يضحي اكثر، يضحي بوقته، ويبذل جهودا في استقصاء الاحوال والظروف المحيطة في ذلك البلد.

والفضل في ولوجي لهذا الادب يعود الى (والدتي رحمها الله) اذ كانت تاخذني معها في سفراتها بالقطار من بغداد الى البصرة، وكنت اشعر ، وانا طفل صغير ان العوالم التي يمر بها القطار غريبة ومثيرة، فكان القطار يمر وسط بساتين النخيل والاهوار وغير ذلك. وكنت حينها احسب نفسي (سندباد) في قارب صغير، تحول الى سفينة كبيرة، وعندما صرت تاجرا، وتوفرت لدي الوسيلة للسفر، ورحلت الى فرنسا وسويسرا وانكلترا، شجعني على القيام بسفرات اخرى الى الهند واميركا وكافة الاقطار العربية والدول الاوروبية والاتحاد السوفياتي.

× هل تعود قليلا الى البداية؟

– يوم كنت طفلا في مرحلتي الابتدائية، وانا استمع الى عمي (عبد اللطيف) رحمه الله، يرتل القرآن ترتيلا شجيا في ليالي رمضان المباركة، كان صوته الرجولي الجهوري، يؤثر في نفسي بعمق روحاني وخشوع وجداني، كما كنت اصغي بمتعة ورغبة لما يقرأه علينا شقيقنا من قصص بطولات الامجاد وغراميات الاجداد (عنتر وعبلة) و (المياسة والمقداد) و (ابو زيد الهلالي) فكان يخيل الي ان الشاعر العبقري والكاتب الالمعي والبطل الاسطوري رسول ذا معجزة بل نبي، لذا سرت وراءهم واقتفيت اثارهم ونهلت من منهلهم، الا البطولة فكنت منها معطل.

× وماذا عن عصا الملا وقراءة المعلقات والدراسة الجامعية؟

– انا اديب مخضرم، اذ نشأت وتتلمذت على يد (الملا) التي لا تفارقها (العصا) والتهديد والوعيد الذي ما زال صداه يلهب كفي وظهري (العصا لمن عصى) ثم دخلت رحاب الجامعة فشعرت بالحرية والاحترام، حرية الكلام والرأي والمناقشة واحترام التلميذ للاستاذ، والاستاذ للتلميذ، ويسري ذلك حتى بين التلميذ والعميد، كما تثقفت على شعراء المعلقات، وشعراء المجد الاسلامي، وخاصة العصر العباسي، وعاصرت كتاب الاربعينيات (المنفلوطي) و(جبران) و(نعيمة) و(طه) و(الزيات) و(فهمي المدرس) و (ابراهيم صالح شكر) و(الزهاوي) و (الرصافي) و (الخليلي) و(ذو النون ايوب).

× واباء جيلك ومجالسهم؟

– التقيت بالسياب ونازك الملائكة، وصادقت لميعة عباس عمارة (عبد الملك نوري) و(د. صفاء خلوصي) و(عبد المجيد لطفي) و(مكي السد جاسم) و(حسين امين) و(عبد الرزاق عبد الواحد) و(مصطفى جواد) و(علي الوردي) و(ذو النون ايوب) و (الخليلي) و(فؤاد عباس) و(عبد الرزاق الهلالي) وترددت على الندوات الادبية، وعاصرت انبثاق الشعر الحر، وواكبت الحركة الادبية المعاصرة، وربطتني باكثرهم وشائج محبة وعمق تفاهم، ونسيج محبة صافية نقية، الا انني لم يهزني الشعر الحر، ولم يطربني، بل لم افهمه ولم يفهمني، فاعذره وليعذرني.

× وكيف تقيمون الحركة الادبية حاليا؟

– الحركة الادبية غزيرة الانتاج، وتراثنا الادبي والثقافي يزخر بالروائع، التي يمكننا ان ننهل منها ونعيد طبعها بعد تبويبها واخراجها حسب الذوق المثقف المعاصر.

وباعتقادي، ان انتاجنا الادبي غزير في جميع الدول العربية، شعراء، ادباء وعلماء، انما هناك سوء في التوزيع، ومما يدعم قولي هذا من وجود العديد من المؤلفات والدواوين والمراجع التي تخدم الحركة الثقافية والادبية.

اذاً، هناك حركة ثقافية وادبية وانتاج غزير، ولكن هناك سوء واهمال في التوزيع.

× محاورة اخيرة، ماذا تعني هذه الكلمات للساعاتي المحامي ناجي جواد:

× الطفولة؟

– البراءة، وتعني صفحة بيضاء قبل ان يشوهها المجتمع.

× الرجل؟

– يعني الشهامة، الحلم، الكرم.

× التسامح؟

– صفحة العظماء علما ومقدرة.

× الامل؟

– ساقية تروي شجرة طموحنا لتنمو وتزدهر ثم تثمر.

× الحب؟

– واحة في صحراء حياتنا، تخضر حولها اغصان امالنا وتلون زهور امانينا.

× الانانية؟

– صفحة تلازم ذوي النفوس الصغيرة.

× الحقد؟

– ليس له مكان في قاموس قلبي، اذ الحياة عندي رحلة قصيرة.

× المرأة؟

– هي النصف الحلو والمر في حياتنا .

× الغرور؟

– صفة الجاهل عقلا ويجب على المرء، ان يعتبر بالاية الكريمة (وفوق كل ذي علم عليم).

× الشعر؟

– موهبة للشاعر واغنية للمستمع.

× الموسيقى؟

– غذاء الروح وتهذيب النفس.

× الهواية؟

– حب الاصدقاء والنساء والكتب والاسفار.

× اللون؟

– الاخضر لانه يرمز الى الديمومة، ديمومة الحياة.

× الكتاب الذي اثر في نفسك؟

– (العبرات) و (الايام) و (زهرة العمر).

× فصول السنة؟

– احب فصول السنة عندي، الشتاء حيث يذكرني بعطف امي وحرارة قلبها، والربيع، لانه يحفزني لربط حقائبي وتخطيط سفرتي، اما الخريف فلا احبه، لانه يرمز الى خريف العمر.

× اغلى امانيك؟

– ان ينقضي مشوارنا بالمحبة والسلام.

× الغربة؟

– وحشة مزمنة.

× الموت؟

– فراق ممض.

لميعة عباس

نازك الملائكة

السياب

صور من السطح العالي

بقلم: يوسف العاني

السطح العالي! قد لايعرفه الكثيرون من هذا الجيل! يعرفون السطح.. ويعرفون كل شيء عال.. أي المرتفع.. لكن هذا المكان السحري الذي عشنا فيه زمنا سعيدا.. ليلمنا في ساحات الطرق الضيقة الى فسحة ذلك السطح.. بهوائه العليل البليل.. وبساحته المفتوحة رغم ضيقها في بعض البيوت فتتكوم انواع مختلفة من الالعاب تمارسها بفرح طفولي سعيد وتتفنن في خلق تكييفها التكييف الذي يلائم السطح نفسه وحدوده التي تبدأ من حائط الى حائط ثان يفصلها عن بيت الجيران (التيغة) التي تعلوا لتشكل حاجبا بين سطح وسح وبيت وأخر..

هذا السطح العالي الذي حرمنا منه منذ سنوات طوال بسبب تغيير المناخ والبيئة وتكوين البيوت الجديدة ثم الشقق المؤطرة بـ (الكتائب) قد حرم هذا الجيل من التمتع بصفاء ونقاء الهواء كما قلت ورزقة وصفاء السماء المرصعة بالنجوم اللامعة.. تقوا فيها احلامنا وتأملاتنا وذكرياتنا من كبرنا، ومستقبلنا ونحن نستلقي على فراشنا البارد في الصيف والاصوات تاتينا من بعيد تارة صغير الحارس (الجرخجي) وتارة اخرى اغاني يشدو بها صيادو السمك لمن بيته على ضفة النهر كما كان بيتنا.. او اغاني الساهرين العائدين من سهرة مغمرة.. البدر فيها يطرد ظلمة الليل الموحشة.. والزوارق تعود متعبة قرب الفجر والناس قد استمتعوا بسهرتهم اكثر السمك (المسكوف) وشربوا ما طاب لهم ان يشربوا وسبحوا في نهر دجلة لتلين اجسادهم وتطيب نفوسهم فتتكسر حرارة الجو ويرق النسيم بعد منتصف الليل وقد سمعنا من كبار السن.. ان القمر حين يصير بدرا فانه يطيب الجو ويرطبه.. ولهذا كانت الزوارق تمتلىء وهي تتجه الى الجزرة (الكاورية) القريبة الان من مدينة الاعراس.

سطحنا العالي ليس المكان الحبيب الينا في الصيف فحسب بل ان يظل مكانا نأوي اليه في الشتاء ايضا حين تكون الشمس مشرقة فالدفء الممتزج قليلا بالهواء البارد ينعش النفوس وينشطها كنا نقرأ دروسنا هناك.. وتحفظ ادوارنا التمثيلية في بداية هوايتنا للتمثيل. بل كنا نخلو الى انفسنا لقراءة المواضيع التي تتطلب تركيزا واهتماما بها فليس غريبا مثلا ان انبزوي في طرف من سطحنا العالي وانا اقراء مجلة True Stories قصص حقيقية.

عام ١٩٤٦ او في لحظات الفراغ ومازلت يافعا لاقف امام الكاميرا مقلدا الرجال الكبار وهم يرتدون زي ذلك الزمان في رياضة الصيد او ما يشابهها.

سطحنا العالي كان رافها وكبيرا فعائلتنا المكونة من ١٤ شخصا من الصغار والكبار يتسع بهم السطح.. وهو مطل كما اشرت على نهر دجلة الخالد.. في نهاية (طرف) خضر الياس..

وبجانب الجامع ثم "كهوة" احمد الجداع... وشريعة ريكو الشيّ (شريعة ابن طوبان) وابن طوبان الذي كان يبيع اشهر وانظف (باجة) في ذلك الزمان والسنوات بعد ذلك الزمان تولى هذه المهنة من بعده.

السطح كان يطل على النهر وامامنا ونحن نتطلع الى النهر مستشفى (المجيدية) مدينة الطب الان ووزارة الدفاع والبهو الذي كانت تقام فيه الاحتفالات الرسمية.

وضفة النهر في جانب الرصافة تسمى ايضا بشريعة المجيدية كما المستشفى / في باب المعظم.

كان السطح ملعبا لنا ومستقرا وكنا نمارس الالعاب الرياضية هناك، ونتدرب على (كيس) الملاكمة كذلك اكوام (الدمبلصات) في زاوية منه و(السبرنك) ايضا وتختة الشتاو كلها تحت سقيفة سطح العالي نخرجها عندما نمارس الالعاب الرياضية عصرا. اضافة الى ممارستي الصباحية عند الفجر حيث اخرج بعد ذلك لاستقل زورق (فاضل البلام) اصول واجول به في دجلة وفاضل يرافقني ويتم هذا طبعا صيفا هذا السطح العالي الذي لايغيب عن بالي هو وذكرياته والمناظر الساحرة التي امامه والناس الذين كنت اراقبهم وحتى القصائد الشعرية التي حفظتها.. او التي القتها..! في بداية هوايتي للشعر.. ذلك السطح غاب ذاب يوم فجأة وبلا مقدمات.. ولولا تنبيه الناس لنا.. لراح من عائلتنا عدد ليس بالقليل..

فجأة حدث شرخ في (السدة) امام الدار ثم راحت تتسع فتحتها .. فرج من في البيت ودخل البعض لكي يستخرج الحاجات الثمينة والمهمة من الداخل.. وما هي الا دقائق حتى هوى نصف البيت الامامي بما فيه.. ليستقر في نهر دجلة.. وعاصفة من الغبار تلف كل شيء.. لتنجلي بعد حين ويظل البيت بلا "سطح عالي" الا الجانب الخلفي منه.. فودعناه.. ولم نودع ايامه وليالية .. فقد حفظت لنا الصور ايضا بعضا منه.. الله ما احلى ايام وليالي السطوح العالية!! وسعيد من عاش تلك الامسيات وتكحلت عيناه باشراقة الفجر وغياب الشمس لاستقبال يوم جديد يبدأ بالليل وينتهي عند النهار!

جريدة الاتحاد 1986

المطربة وحيدة خليل تعتب وتقول:

امس واليوم ما مروا علي

بحثت عنها طويلا قبل ان التقيها.. وعندما التقيتها فوجئت بها.. انها بصحة جيدة وليست عاجزة عن الحركة كما قيل لي وهي ايضا تحتفظ ببقايا جمال قديم ونضارة لم تغب، كما تؤكد ملامحها.

وقالوا لي ايضا، ان وحيدة خليل منعزلة عن النفس وغاضبة على الاعلام فاحذرها.

ولانها كذلك حاولت ان ادخل من نفس الباب التي اغلقتها على نفسها وعلى الاخرين، فضغطت على هذا العصب مستفزا نباهتها التي تحاول ان تلغي وجودها فبادرتها قائلا:

- لماذا لا يعرفك الناس.. ان اقرب "جيرانك" لايعرفون وحيدة خليل.. ما هو السبب؟

ابتسمت بسخرية اعرفها لدى اهل الجنوب قائلة:

- وهل تعتقد ان الذنب ذنبي او ذنب الناس.. لا، يا حبيبي، الذنب ذنبكم، ذنب الاعلام، صحافة، اذاعة، تلفزيون ثم قالت: هل تسمح لي ان اكون صادقة معك على شرط ان تكتبه عندكم "في الجريدة" ان الناس وخصوصا الاعلام يتصور الفنان او الاديب مثل "حصان الريسز" فهو مدلل حين يكون في اول الفائزين حيث تخصص له مجموعة للاعتناء به وتوفير كل ما يحتاجه وما لايحتاجه، ولكن حين يهرم ويتعب فانه يتحول الى اقرب عربة نفط هذا اذا لم يقتلوه!! انهم تتعاملون معنا هكذا، حين نكون في القمة فانكم تركضون خلفنا، وحين ننتهي ترموننا مثل قشر الموز، لا "تزعل" هذه هي الحقيقة.. والا اسالك بالله هل تصدق اني لا اسمع سوى اغنية واحدة او اغنيتين لي يتكرر بثهما بين مدة طويلة واخرى علما باني املك في ارشيف الاذاعة ومكتبتها اكثر من اربعمائة اغنية، هل فكر احدهم يوما ان يضعني في زاوية مطرب اليوم بدلا من عبد اللطيف التلباني ولبلبة وعصام رجي!! هل فكر احد بزيارتي او السؤال عني - ارجوك ان تنشر هذا الكلام انه رجاء لي وانا في اواخر العمر!!

× قلت لوحيدة خليل وانا احاول التخفيف من حدتها وتهدئة اعصابها.

من اين نبتدئ.. هل نبتدئ من الطفولة.. طفولتك..؟

قالت وهي تحاول ان تبتسم وتغطي توترها.

- مثلما تحب.. ولكن ساحكي لك قصتي منذ الولادة وليست الطفولة، انا لم اتحدث لغيرك قطعا مثل هذا الحديث ولكن يظهر بانك "ابن حلال" وتستاهل، لقد ولدت "يا سيدي" عام ١٩٢٨، في منطقة الرباط الصغير في محافظة البصرة من ابوين عراقيين، توفي والدي وانا طفلة صغيرة فتحملت والدتي بشجاعة معيشتي، ليس لي اخ ولا اخت لذا اطلقت على نفسي - بعد ذلك - اسم وحيدة حيث ان اسمي الحقيقي هو "مريم عبدالله جمعة" ولاني وحيدة فقد عانيت كثيرا من هذا الجانب وظهرت اثاره النفسية على نبرات صوتي بعد ذلك.

كانت منطقة البصرة مليئة بفرق الخشابة وكنت احفظ كل اغانيهم فاشتريت لي "طبلة" واصبحت عازفة على الايقاع وانا عمري ثماني سنوات، وفي البيت كنت اغني واعزف لنفسي، وكان لهذا الاستعداد الفني المبكر اثره الكبير في حياتي الفنية اللاحقة حيث ضبطت الايقاع الغنائي "الدوم" واصبحت اذني اذنا موسيقية ونظيفة للغاية حيث يسحيل علي الخروج عن الوزن او ارباك العازفين.

وشيئا فشيئا كبرت موهبتي وكبرت ارادتي ومع تزامن السنين صار صوتي احلى واقدر وفي يوم من الايام خرجنا - العائلة - الى حديقة "ام البروم" حيث كانت هذه الحديقة مخصصة للعوائل كل مساء ولا يدخلها الرجال قطعا..

واخذت معي "الطبلة" ومعي صاحباتي وبدأت اعزف واغني وكانت الاغاني الشائعة لفرق الخشابة هي "جوزي اتجوز عليه وماشي لزوم الليلة وغيرها، ثم انشدت اغنية "انا بانتظارك" لام كلثوم وبالمناسبة اذكر بان العوائل كانت انذا تحضر عروض السينما حيث شاهدنا ونشاهد عشرات الافلام مثل "الوردة البيضاء، سلامة، دنانير، افرح يقلبي، وغيرها.." وحين اديت جملة صعبة في اغنية "انا بانتظارك" سمعت من يصرخ خارج سور الحديقة "الله الله.. يا ام كلثوم البصرة، وحين التفتنا وجدنا ان الرجال واقفون على "سياج" الحديقة وهم يستمعون الينا فجن جنوني وهربت من الباب الخلفي وانا ابكي من الخجل!!

في تلك الظروف الاجتماعية الصعبة، وفي مثل تلك البيئة لم يكن سهلا على الفتاة ان تكون مغنية، لذا فنحن الذين صرنا مغنيات في ذلك الوقت كنا قد دفعنا ثمنا كبيرا من راحتنا واسم عوائلنا ولربما حتى من كرامتنا.. ولو اغضب الان فان عذري معي.. لقد اعطينا الكثير للناس وللفن وللوطن فلماذا هذا العقوق؟!

ثم اكملت قائلة: كنت معجبة بام كلثوم اعجابا كبيرا وكنت ادخل السينما اربع مرات في الاسبوع لاشاهد ام كلثوم اربع مرات.. احفظ اغنياتها عن ظهر قلب لاغنيها في اليوم الثاني في المدرسة او في البيت كما كنت معجبة بالمطربة ليلى مراد وهنا اود ان اشير الى ان بداياتي لم تكن ريفية حيث اني بنت مدينة ولست بنت ريف.. وساذكر بعد ذلك كيف صرت مطربة ريفية..

ومن هه الاغنيات حصلت على شهرة واسعة بين الاهل والاقارب فبدأت اسهم في افراحهم واعراسهم لكن بدون اجور!!

ومن هذه الاعراس والافراح شاع صيتي وبرز اسمي فبدأت اغني في حفلات النوادي ثم صرت اتلقى اجورا عن ذلك وكنت اغني لام كلثوم فقط واحيانا اغنيات سليمة مراد..

وفي يوم تلقيت دعوة للغناء في حفل زواج في بيت الشيخ "محمد العريبي" وهو شيخ معروف في مدينة العمارة، وكانت المرة الاولى التي اخرج واغني خارج البصرة هناك استمعت ولاول مرة للغناء الريفي فاعجبني مطرب اعتقد ان اسمه "جويسم" كان يغني بشكل جميل وساحر، وبدأت استمع اليه وانتبه الى طريقة غنائه وبقيت سبعة ايام اتعلم حتى حفظت كل اطوار الغناء الريفي.. ومن ذلك الوقت وانا مطربة ريفية، بل وصرت ريفية..!

وفي يوم جاءني رجل وانا اغني في النادي هامسا في اذني لماذا لا تذهبين الى بغداد حيث الاذاعة والنوادي والشهرة والمال.. واستلطفت الفكرة.. وفي اليوم الثاني سافرت الى بغداد.. ونزلت في فندق لا اتذكر اسمه في شارع الرشيد، ومن هناك اتصلت باحد معارفنا وعرضت عليه رغبتي للغناء في الاذاعة فامتدحني.. وفي المساء زارني في الفندق مستصحبا معه رجلا لا اعرفه.. قدمه لي قائلا: محمد علي التكريتي مدير الاذاعة.. وصعقت هل يمكن ان ياتي لي مدير الاذاعة بنفسه.. سمعني واعجب بصوتي.. وقدمت للاذاعة وقبلت وصرت مغنية اذاعية.. وانتقلت عائلتي الى بغداد.. وهكذا صارت وحيدة خليل.. انها قصة طويلة ومتعبة لك اليس كذلك؟

قلت - لا والله - بالعكس - انا سعيد جدا وانا اسمتع اليك والى مشوارك الطويل القاسي.

قالت - اكمل اذن.. اول اغنية كانت من الحان الفنان ناظم نعيم وهي اغنية "يايمة ذاك اهواي" واديتها على الهواء مباشرة حيث لم تكن انذاك اجهزة تسجيل.. بعدها غنيت اغنية خليجية باسم "كومي اوكفيلي وارفعي البوشية" ثم استمر الحال وتواصل.

× قلت لها - من تعاون معك من الشعراء والملحنين خلال مسيرتك الطويلة؟

قالت - من الشعراء: جبوري النجار، سيف الدين ولائي، سبتي طاهر، ابو عادل، جودت التميمي وغيرهم، من الملحنين: ناظم نعيم، عباس جميل، المرحوم جميل بشير الذي لحن لي اغنيات جديدة وعلمني عزف العود، روحي الخماش، محمد عبد المحسن، محمد نوشي وللفنان منير بشير فضل كبير علي في مساعدته لي بامور كثيرة لا انساها ابدا..

× هل غنيت في بلدان غير العراق؟

- قالت نعم - غنيت وسافرت الى بيروت/ دمشق، الاردن، تركيا، بلغاريا، امريكا، لندن، وغيرها، وبالمناسبة فاني قد غنيت عام ١٩٥٤ في بيروت وقد كان من بين الحضور في حفلتي في سينما النور على ما اعتقد الفنانة الكبيرة فيروز والفنانة صباح وقد صافحتني فيروز وصباح بعد الحفلة وابديتا اعجابهما بالغناء العراقي.. وقد كان حاضرا انذاك الفنان وديع خوندة الذي بواسطته تم توقيع عقد الحفلة! وهو الذي قدمني لهما.

- اجمل اغنياتك التي ظلت عالقة في ذاكرتك؟

قالت وحيدة خليل - "انا وخلي تسامرنه وحجينه" اغنية احبها كثيرا واغنية يا ارضنا يا ارضنا لان لي في هذه الاغنية ذكريات عديدة.. اما الاغنية التي ترافقني الان وبعد عقوق الجميع وابتعادهم عني فهي اغنية "امس واليوم ما مروا عليه"!!

عن جريدة الجمهورية

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون